الزهرات المنثورة
فى
نكت الأخبار المأثورة

لابن سماك العاملى

أبى القاسم محمد بن أبى العلاء محمد بن سماك المالقى الغرناطى

(النصف الثانى من القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى)

تقديم

– ١ –

تمهيد :

كان من بين الكتب المخطوطة التى وقعت لمعهد الدراسات الإسلامية بمدريد من تركة المستشرق الفرنسى الكبير الأستاذ ليفى بروفنسال بعد وفاته فى ٢٣ مارس سنة ١٩٥٦ — كتاب صغير يحمل عنوان « الزهرات المنثورة فى نكت الاخبار المأثورة » ، وهو منتزع من مجموع يضم بعض الرسائل الأخرى . ولم يكن فى صفحات الكتاب أى إشارة إلى اسم مؤلفه .

على أن الأسوأ من ذلك كان ضياع جزء كبير من النص يبلغ أقل قليلا من نصفه . فالكتاب حسبما شرط مؤلفه فى مقدمته مجموعة من الأخبار الطريفة حدد عددها بمائة ، ولكن هذه النسخة التى كانت ملكا للمستشرق الفرنسى الكبير كانت ناقصة ، فقد وقع فيها خرمان جسيمان ، يمتد أولهما من آخر الزهرة الخامسة عشرة حتى أول الزهرة الحادية والثلاثين ، وأما الثانى فيمتد من الزهرة الثانية والأربعين حتى الثالثة والسبعين ، أى أن الذى ضاع من زهرات الكتاب المائة نحو من سبع وأربعين ، غير أني استطعت أن أستكمل من كتاب

« نفح الطيب » للمقرى سبع زهرات نص على أنه نقلها عن هذا الكتاب ، فأصبح ما لدينا منه ستون زهرة فى المجموع ، وأما الباقى فقد ظل ثغرة لا سبيل إلى سدها ما لم تظهر من الكتاب مخطوطة جديدة .

وقد جعلنى ذلك أتردد فى نشر الكتاب ، غير أن طرافة هذا اللون من التأليف وما تبينته فى بعض أخباره من جدة لا تخلو من فائدة للمشتغلين بتاريخ الأندلس وتراثها الفكرى فى القرن الثامن الهجرى — كل ذلك حملنى على أن أمضى قدماً فى إعداد هذا النص لما بقى من الكتاب ، وتقديمه للمعهد المصرى للدراسات الإسلامية حتى يضطلع بنشره . وكان أن فرغت من هذا العمل منذ سنوات وبعثت بالنص محققاً مع دراسة له ومحاولة للكشف عمن يمكن أن يكون صاحبه .

كان ذلك منذ أربع سنوات ، وانصرفت بعد أن ظننت أن مهمتى قد انتهت إلى شواغل أخرى . على أن إخراج الكتاب قد تأخر لظروف خارجة عن إرادتى حتى عرضت لى رحلة إلى مدريد فى سنة ١٩٧٦ بمناسبة مؤتمر المشتغلين بالدراسات الأندلسية والإسبانية وهو المؤتمر الذى نظمه المعهد الاسبانى العربى للثقافة وتفضل بتوجيه الدعوة إلىّ للاشتراك فى أعماله . وكان جميلا لا أنساه لهذا المعهد الكريم وللأصدقاء الأعزاء العاملين فيه ، فقد أتاح الفرصة لى لكى أجدد العهد بعدد من الإخوان والزملاء ممن تربطنى بهم أواصر المودة والعمل المشترك .

وكان من جميل الصدف أن ألتقى فى المؤتمر بصديقة عزيزة وباحثة لها فى ميدان الدراسات الأندلسية جهود عظيمة جديرة بكل تقدير ، هى الدكتورة ماريا خيسوس روبييرا María Jesús Rubiera ، وكانت تعرف أننى فرغت من إعداد نص « الزهرات المنثورة » حسب مخطوطة ليفى بروفنسال الناقصة . فما كان منها بعد أن تبادلنا الحديث عن هذا الكتاب إلا أن وضعت بين يدىّ مجموعة من اللوحات المصورة كانت مفاجأة سعدت لها كل السعادة واغتبطت

بها أشد الاغتباط . فقد كانت هذه اللوحات نسخة مصورة من مخطوطة أخرى كاملة لكتاب الزهرات محفوظة فى الخزانة العامة بالرباط . كما أهدت إلىَّ أيضاً بحثاً لها نشر فى مجلد الملتقى الثانى الإسبانى التونسى عنوانه « حول من يحتمل أن يكون مؤلفا لكتاب الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية » ، وهو بحث سوف نرى أنه وثيق الصلة بكتاب « الزهرات » ومؤلفه .

وعدت بعد انتهاء أعمال المؤتمر إلى الكويت — وكنت أعمل حينئذ فى جامعتها — وفى أوراقى هذه الهدية الثمينة ، فعكفت على فحص تلك المخطوطة الجديدة ، فرأيت أنها تكمل ذلك العمل الذى اضطلعت به من قبل وقدمته للنشر على ما فيه من نقص ، وهكذا كتبت إلى صديقى وأخى الأستاذ الدكتور السيد عبد العزيز سالم مدير المعهد المصرى أرجوه أن يبعث إلىَّ بنص الزهرات القديم حتى أعيد فيه النظر وأكمل ما فيه من نقص على ضوء هذه المخطوطة الجديدة .

وهكذا كان ، فقد عدت من جديد لإعداد الكتاب وتحقيقه كاملا ، فإذا كان فى ذلك فضل فإن مرجعه إلى كرم الصديقة الفاضلة ماريا خيسوس روبييرا التى آثرتنى بمخطوطها وضربت فى ذلك مثلا على التعاون العلمى الحق ، جزاها الله عنى كل خير ، ثم إلى الأخ الكريم الأستاذ الدكتور السيد عبد العزيز سالم مدير المعهد لحرصه على نشر هذا الكتاب وعنايته به .

— ٢ —

عنوان الكتاب وأصوله :

عنوان الكتاب كما جاء فى الأصلين المخطوطين هو « الزهرات المنثورة فى نكت الأخبار المأثورة » . أما المقرى فقد سماه بين يدى ما نقله منه باسم « الأزهار المنثورة فى الأخبار المأثورة » ، وقد ارتضى ليفي بروفنسال هذا

العنوان فى المواضع التى استفاد منه فيها فى كتبه . ولكننا آثرنا العنوان المثبت على الأصلين المخطوطين ، والخلاف بين التسميتين هيِّن على كل حال .

وأما المؤلف فلم يرد اسمه فى مخطوطة ليفى بروفنسال التى كنت قد أعددت النص على أساسها فى البدء . وعلى الرغم من أن المقرى فى موسوعته الجامعة « نفح الطيب » قد عرف الكتاب ونقل منه فإنه بدوره لم يعرف مؤلفه ولم يفدنا بأى شىء حوله . وذكر الدكتور إحسان عباس فى تحقيقاته لطبعة النفح الجديدة أنه يرجح كون ابن سعيد (ت ٦٨٥ هـ./١٢٨٦ م.) هو مؤلف الكتاب ، وأنه ربما كان ذلك المجموع هو نفسه كتاب « الزهرات » الذى ينقل عنه ابن هذيل الغرناطى فى كتابه « عين الأدب والسياسة »(١) . والدكتور إحسان معذور فى هذا الاستنتاج الخاطىء ، إذ أنه لم ير الأصل المخطوط ، وإن كان ليفي بروفنسال — أول من عرف النص واستفاد منه — قد بين فى معرض ما أخذه منه أن مؤلف الكتاب كان غرناطيا يعيش فى القرن الثامن الهجرى(٢) .

وقد كنت عند إعدادى الأول للنص قد وقفت عند هذه المسألة وبذلت جهداً كبيراً فى محاولة للتعرف على من يمكن أن يكون مؤلف الكتاب . وكان من الواضح أنه لابد أن يكون من كتاب الدولة النصرية خلال النصف الثانى من القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) ، معاصراً للسلطان محمد الغنى بالله بن يوسف بن اسماعيل بن فرج ، خامس من تسمى باسم محمد من سلاطين بنى الأحمر فى غرناطة ، وهو الذى ولى العرش بعد مقتل أبيه سنة ٧٥٥ (١٣٥٤) وامتدت به الحياة حتى سنة ٧٩٣ (١٣٩١) ، وإن

---

(١) نفح الطيب ١ / ٤١٧ ، حاشية ١ .

(٢) E. Lévi-Provençal: L'Espagne Musulmane au X ème siècle, Institutions et vie sociale, Paris, 1932, p. 85.

كانت قد تخللت هذه الفترة الطويلة من الحكم ثلاث سنوات (٧٦٠ — ٧٦٣) خلع أثناءها عن العرش ، وظل منفياً فى المغرب حتى عاد إلى ملكه [١] . فتتبعت أسماء كتاب هذه الفترة وسير حياتهم ونشاطهم فى ميدان التأليف الأدبى ، وطرحت هذه الاحتمالات فى دراستى الأولى وإن لم يكن من الميسور أن أصل إلى تحديد اسم معين بين الأسماء الكثيرة التى كان يمكن أن يعد مؤلف الزهرات واحداً منها .

ثم أتت هذه المخطوطة الجديدة من الخزانة العامة بالرباط ، فقطعت الشك باليقين ، إذ أثبتت عليها اسم المؤلف ، وهو « محمد بن أبى العلاء بن سماك » .

— ٣ —

أسرة بنى سماك العامليين فى مالقة وغرناطة :

أسرة بنى سِمَاك [٢] التى ينتمى إليها مؤلفنا [٣] ينتهى نسبها إلى قبيلة عاملة ، إحدى القبائل اليمنية التى نزلت الأندلس منذ قدوم طالعة بلج بن

---

(١) حول محمد الغنى بالله وفترة حكمه لغرناطة راجع الدراسة الجامعة القيمة التى اختصه بها الدكتور أحمد مختار العبادى : Dr. Ahmad Mujtār al-ʿAbābdī: El Reino de Granada en la época de Muḥammad V, Madrid, 1973.

(٢) لست أدرى السبب الذى جعل كل المستشرقين الأوربيين الذين كتبوا عن هذه الأسرة أو بعض أفرادها يضبطون هذا الاسم بتشديد الميم (ِسمَّاك Simmāk) ، فليس هناك ما يبرر هذا الضبط ، إذ لا معنى للفظ مكتوبا بهذه الصورة ، والصواب « ِسمَاك » بكسر السين وتخفيف الميم ، وهو لفظ مشتق من َسمَكَ الشيء َيسْمُكُه سَمْكاً أى رفعه فارتفع ، والسِّمَاك ما سمكت به الشيء أى رفعته كالحائط والسقف . والسِّماكان نجمان نيران أحدهما السماك الأعزل والآخر السماك الرامح وهما من برج الميزان ، والأول منهما من منازل القمر (لسان العرب ، مادة س م ك) . وسنرى فى ترجمة ابن الخطيب لمؤلفنا بالذات كيف يستخدم هذا المعنى فى تورية لفظية أراد أن يعبر =

بشر القشيري المعروفة باسم الطالعة الشامية سنة ١٢٥ هـ. (٧٤٣ م.) . وكانت هذه القبيلة تسكن في منطقة الأردن ، فلما قدمت الأندلس نزلت في إقليم رية (مالقة) . وإلى عاملة هذه ينتهي نسب أحد ولاة الأندلس الأقدمين وهو ثعلبة بن سلامة[١] . وعلى الرغم مما يذكره المؤرخون المتأخرون من علو مكانة بني سماك وعراقتهم فإننا لم نجد ذكراً لأحدهم في المعاجم المبكرة لتراجم مشاهير الأندلسيين مثل كتابي ابن الفرضي والحميدي ولا في تواريخ الأندلس القديمة .

وأول من عثرنا عليه من شخصيات هذا البيت هو أبو محمد عبد الله بن أحمد بن سماك . ولد في سنة ٤٥٦ (١٠٦٤) ، وتفقه ببلده مالقة على أبي المطرف الشعبي ، وروى الحديث عن أبي علي الغساني ، ثم انتصب لتدريس الفقه والمناظرة عليه في مدونة سحنون وغيرها . وقد شجر النزاع بعد ذلك بينه وبين بني حسون رؤساء مالقة ، فخرج بسبب ذلك فاراً إلى غرناطة ، ثم جاز إلى مراكش في الوقت الذي كان الصراع فيه دائراً بين المرابطين ودولة الموحدين الناشئة . ويظهر أنه انضم إلى دعوة الموحدين ، فولوه قضاء غرناطة في سنة ٥٣٧ (١١٤٢ — ١١٤٣) ثم قضاء مالقة أيضاً . ولكن حياته لم تطل بعد ذلك ، إذ توفي في سنة ٥٤٠ (١١٤٦) . وكان إلى جانب تبحره في الفقه أديبا شاعراً مطبوعاً كثير النوادر . وقد نقل ابن

= بها عما يتوقع له من علو الشأن وذلك إذ يقول : « فإن انفسح مداه ، بلغت السِّماكَ يداه » (الكتيبة الكامنة ص ٣٠٠) .

(٣) للباحث الصديق الأستاذ خاثينتو بوسك فيلا مقال اختص به هذه الأسرة بعنوان « بنو سماك : أسرة توارثت القضاء في مالقة وغرناطة » Jacinto Bosch Vila: Los Banū Simmāk de Málaga y Granada, Miscelánea de Estudios Árabes y Hebraicos, XI, 1962, pp. 21-37. على أنه يؤسفني أن أذكر أنني لم أتمكن من الاطلاع على هذا المقال والانتفاع منه .

(١) عن عاملة ومنازلها في الأندلس انظر ابن حزم : جمهرة الأنساب ص ٤٢٩ — ٤٣٠

الخطيب قطعا من شعره ، كما أشار إلى مراسلات بينه وبين الكاتب المشهور الفتح بن خاقان صاحب كتابى قلائد العقيان ومطمح الأنفس [١] .

وقد أعقب عبد الله بن أحمد بن سماك عدداً من الأبناء عُرِفَ منهم ثلاثة : الأول سالم الذى لم تفدنا كتب التراجم عنه بشىء ، ولكنا نعرف ابنا له هو عبد المنعم بن سالم بن عبد الله أحد أعيان مالقة . وقد ترجم له ابن الزبير فى « صلة الصلة » وقال إنه كان راوية لسنن أبى داود وإنه ولد سنة ٦١٣ (١٢١٦) وامتدت به الحياة تسعين سنة حتى وفاته فى ٧٠٣ (١٣٠٤) . وذكر ابن الزبير أنه سأله الإجازة لأولاده فأجاز لهم [٢] .

وثانى هؤلاء الأبناء هو محمد بن عبد الله الذى يظهر أنه ولى قضاء غرناطة أيضاً للموحدين ، ونقل النباهى بعض خبره وخبر أسرته عن كتابى الملاحى وابن عسكر ، ولو أن حديثه عنه يختلط بالحديث عن أبيه . ويذكر ابن عبد الملك أنه كان فقيها ذاكراً للمسائل مشاوراً عارفاً بالأحكام ، وينص على أنه ولى قضاء مالقة فى سنة ٥٤٨ (١١٥٣) ، وأنه كان أول قضاتها فى دولة عبد المؤمن بن على . ولم يعرف المراكشى تاريخ وفاته ، وإنما اكتفى بالقول إنه كان حيا فى سنة ٥٥٥ (١١٦٠) [٣] .

وثالث هؤلاء الأبناء هو أبو جعفر أحمد بن عبد الله ، روى عن أهل بلده ، وكان أيضاً فقيها ذا حظ من الأدب والنظم . وتوفى سنة ٥٧٥ (١١٧٩ — ١١٨٠) [٤] . وأحمد هذا هو الذى نعرف عدداً أكبر من ذريته ،

---

(١) انظر فى ترجمته ابن الأبـار : التكملة ، بتحقيق كوديرا ، رقم ١٣٥٥ ؛ ابن الخطيب : الاحاطة ، بتحقيق الأستاذ محمد عبد الله عنان ٣ / ٤١٠ — ٤١١ ؛ أحمد بابا التنبكتى : نيل الابتهاج بتطريز الديباج ص ١٣٢ .

(٢) صلة الصلة ، رقم ٣٠

(٣) النباهى : المرقبة ص ١٠٥ ؛ الذيل والتكملة ، المجلد السادس ، رقم ٦٩. ص ٢٣٧ — ٢٣٨ .

(٤) ابن عبد الملك : الذيل والتكملة ، المجلد الأول رقم ٢٠٠ ص ١٣٤ .

فقد أعقب ابنا هو أبو محمد عبد الحق الذى سكن حصن بلش بشرقى مالقة Vélez-Málaga ولكن ابن الزبير الذى ترجم له لم يحدد لنا سنة وفاته (١) .

وكان لعبد الحق هذا ولدان : أولهما أبو جعفر أحمد ، وكان شيخاً صالحا عاقداً للشروط ، وهو من تلاميذ الإمام أبى القاسم السهيلى المالقى صاحب كتاب الروض الأنف فى السيرة النبوية . ولم يحدد المراكشى الذى أورد ترجمته سنة وفاته . إلا أن الرعينى يذكر فى برنامجه أنه لقيه وجالسه كثيراً بغرناطة وأنشده قطعا من الشعر فى مجلس معين يحدد تاريخه بالثامن من المحرم سنة ٦٣٦ (الموافق ٢١ أغسطس ١٢٣٨) مما يقتضى أن تكون وفاة أحمد بن عبد الحق بعد هذا التاريخ (٢) .

وأما الثانى فهو سماك الذى لا نعرف عنه إلا أنه عاد لحمل الاسم الأول الذى اشتهر به أبناء هذه الأسرة .

وقد أعقب سماك المذكور ولداً هو محمد ، نعرف عنه خبراً مختصراً يقول إنه « قرأ على أبى جعفر ابن الزبير وأبى عبد الله ابن رشيد (صاحب الرحلة) وغيرهما ، وكان مشهوراً بالإدراك والكفاية . ولى عدة جهات ووقعت له محنة ، ومات سنة ٧٦٠ (١٣٥٨ — ١٣٥٩) ، وله سبع وسبعون سنة » ومعنى ذلك أنه ولد سنة ٦٨٣ (١٢٨٤ — ١٢٨٥) . ومن الغريب أن هذا الخبر الوحيد عنه قد انفرد به كتاب مشرقى هو « الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة »

---

(١) صلة الصلة ، رقم ١٤ . ويشير ابن الزبير فى أثناء هذه الترجمة إلى أنه تحدث من قبل عن بيت بنى سماك وسابقتهم فى العلم والخير ، ويظهر أنه أورد فى ذلك الموضع من كتابه تفصيلا لنسب هذه الأسرة وتعديداً لمن اشتهر منهم بالعلم والرواية . ولكن من المؤسف أن هذا الموضع من كتابه قد ذهب فيما ضاع من كتابه .

(٢) الذيـل والتكملة ، المجلد الأول ، رقم ٣٠٦ ص ٢٣٧ ، برنامج الرعينى ، رقم ٧١ ص ١٤٩ — ١٥٠ .

لابن حجر العسقلانى[١] . وأغرب من ذلك أن ابن حجر يحيل فيه على ابن الخطيب ، غير أنا بحثنا عنه فى المجلدات الثلاثة التى نشرها الأستاذ عنان من « الإحاطة » ، ثم فيما بقى من الإحاطة المخطوطة (نسخة الاسكوريال ، رقم ١٦٧٣) فلم نجد أثراً لترجمة محمد بن سماك هذا[٢] . على أننا لسنا واثقين من صحة تاريخ الوفاة المذكور فى هذه الترجمة ، إذ أن طبعة « الدرر الكامنة » التى بين أيدينا طبعة رديئة يكثر فيها التحريف والخطأ ولا تلتزم بالشروط الواجبة للتحقيق العلمى السليم .

وكان لمحمد بن سماك المذكور ولد يدعى كأبيه محمداً ، وكنيته أبو العُلاَ أو أبو العَلاَء الذى نعرف عنه قدراً أكبر من الأخبار بفضل الترجمتين اللتين اختصه بهما ابن الخطيب وابن حجر[٣] .

ولما كان أبو العلاء هذا هو والد مؤلف « الزهرات » فإننا سنوليه عناية خاصة منتفعين من هاتين الترجمتين اللتين أشرنا إليهما .

---

(١) الدرر الكامنة ، المجلد الثالث ، ترجمة ١٢١٧ (ط حيدراباد) وهي تقابل الترجمة رقم ٣٧٣٦ المجلد الرابع ص ٧١ من طبعة القاهرة سنة ١٩٦٦ ، وقد رجعنا فى هذه الترجمة إلى الدراسة القيمة التى قامت بها الباحثة ماريا لويسا أورنيدو عن « الأخبار الخاصة بتاريخ الأندلس وتراجم علمائها فى كتاب الدرر الكامنة لابن حجر العسقلانى » ، الرسالة الصغرى المقدمة لكلية الفلسفة والآداب بجامعة مدريد فى يونيه ١٩٦٤ (مطبوعة على الآلة الكاتبة) :

María Luisa Hornedo: Datos para la historia del Andalus, contenidos en la obra de «Al-Durar al-Kāmina», de Ibn Ḥaŷar al-ʿAsqalānī, Memoria de licenciatura presentada en la Facultad de Filosofía y Letras de Madrid, junio de 1964.

(٢) نرى فى هذا وفى كثير من التراجم التى أثبتها ابن حجر فى الدرر — نقلا عن ابن الخطيب — لبعض علماء غرناطة دليلا واضحاً على أن النسخة التى رجع إليها العالم المصرى من « الاحاطة » كانت أكمل من النسخ المخطوطة المعروفة اليوم وهى التى قام الأستاذ عنان على أساسها بطبع ما نشره من مجلدات الاحاطة .

(٣) الكتيبة الكامنة ، ترجمة رقم ٦٧ ، ص ١٩٨ — ٢٠٠ ؛ الدرر الكامنة ، المجلد الرابع رقم ٤٨٢ (وهى تقابل من طبعة القاهرة سنة ١٩٦٦ الترجمة رقم ٤٣٤٦ — ٤/٢٩٥ — ٢٩٦).

أما ابن حجر فإنه ينفرد عن ابن الخطيب بإيراد قائمة بأسماء شيوخه ، فيذكر منهم أبا الحسن بن أبى العيش وأبا عبد الله بن الفخار وأبا القاسم ابن جزى ، ونلاحظ أن هؤلاء هم كذلك أساتذة ابن الخطيب نفسه . ثم يذكر ابن حجر أنه كان لا يكف عن الدرس والقراءة ، وأن له كتبا كثيرة تدل على معرفة واسعة ونظر دقيق ولا سيما فى علم العروض . ويقول إنه كان من كتاب السلطان بديوان الإنشاء ، كما ينوه بثناء ابن الخطيب على فضله وعلمه ومعرفته بالأدب (١) . ثم ينشد له عدة قطع من الشعر ، وأخيراً يسجل تاريخ وفاته بالمحرم سنة ٧٥٠ (١٣٥٠) .

وأما ابن الخطيب فإنه يورد له فى الكتيبة ترجمة نورد فيما يلى أهم فقراتها : « الكاتب أبو العلاء محمد بن محمد بن سماك العاملى ، رحمه الله تعالى وعامله بفضله وكرمه ، مجموع خصل ، وفرع نشأ عن أى أصل ، ومشيح بنصل ، فى يوم فصل ، كتب مع الحلبة ، وشاركهم فى افتراع الهضبة ، وأنشد الشعر ، فأجرى بغير الخلاء ، وجعل دلوه فى الدلاء . فمن شعره يمدح السلطان ويذكر الواقعة البحرية بالروم :

فتح قضاه لملكك الرحمنُ ... لم تأت قط بمثله الأزمانُ (٢)
فلأى يوم سعادة أولاكه ... ذلت بعزة نصره الصلبان
بشرى كما فعم العبير لناشق ... وافترعن أزهاره البستان

---

(١) نكرر هنا من جديد ملاحظتنا بأن ابن حجر ينقل هذه المعلومات عن نسخة من الاحاطة ليست من النسخ المعروفة اليوم ، ولا سبيل للظن بأن ابن حجر ينقل هنا عن كتاب (الكتيبة) فليس فى ترجمة أبى العلاء بن سماك في هذا الكتاب شىء من هذه التفاصيل .

(٢) أورد ابن حجر فى الدرر الكامنة مطلع هذه القصيدة على هذا النحو :

فتح قضاه المالك الديان ... ذلت لعزة نصره الصلبان

وهو كما نرى ملفق من الشطر الأول من المطلع والشطر الثانى من البيت الثانى .

ومن قصيدة يمدح السلطان ويذكر فتح بعض الحصون :

بشرى بها صبح الهداية مسفرُ بشرى بها ليل الضلالة مدبرُ (١)
فتح تلقى النصر منه تحيــة من لفظهـــا ماء البشاشة يقطر
فتحت سيوفك كَرْكَبُولَ وإنه فى الفتح عنوان لما هو أكبر (٢)

... إلى آخر القصيدة (٣) » .

ثم يقول ابن الخطيب : « وكتب إلىّ يهزنى بمجلس السلطان إلى إنجاده وإعانته على مراده :

يابن الخطيب من الذى بثنائه قد قام فى مرقى مناى خطيبـا
جدد عوائدك التى أنشقتنى من زهر نعمتها المنعم طيبـا
واهزز لنا غصن الخلافة يانعا يسقط جنى نيل المراد رطيبـا
لا زلت ذا فضل علىَّ وحمده منى مطيلا لا يزال مطيبا » .

---

(١) أورد ابن حجر مطلع هذه القصيدة بهذه الصورة :

بشرى بها صبح الهداية مسفر من لفظها ماء البشاشة يقطر

ونراه من جديد يلفق البيت من شطرين من البيتين الأولين .

(٢) فى طبعة الكتيبة بتحقيق الدكتور إحسان عباس ورد اسم الحصن « كريكول » وجاء فى الحاشية (ص ١٩٩) أن الاسم فى إحدى النسخ المخطوطة « كركيول » والقراءتان كلتاهما خاطئة ولو أن الثانية أقرب إلى الرسم الصحيح ، والصواب ما أثبتنـا ، والمقصود حصن كركبول ، وهو اليوم بلدة صغيرة تقع بين جيـان وقرطبة واسمها الآن Carcabuey ، وهو نفس الحصن الذى سماه ابن حيان فى المقتبس (ط. ملتشور أنتونيا ، باريس ١٩٣٧) « حصن كركبولية » (ص ١٠٦ — ١٠٧) . ومما يجدر بالذكر أن لابن الخطيب قصيدة مثبتة فى ديوانه يهنىء بها السلطان أبا الحجاج يوسف النصرى (والد محمد الغنى بالله) بهذا الفتح نفسه . (انظر ديوان ابن الخطيب « الصيب والجهام والماضى والكهام » بتحقيق محمد الشريف قاهر ، الجزائر ١٩٧٣ ص ٢٤٤) . وقد حدد ابن الخطيب تاريخ هذا الفتح بأحد ربيعى سنة ٧٤٠ (أى خلال الفترة المتضمنة بين ٦ سبتمبر و ٣ نوفمبر ١٣٣٩) .

(٣) أورد ابن حجر بعد ذلك مطلعا لقصيدة لابن سماك انفرد به دون ابن الخطيب ، وأوله :

أما الفتوح فهذا بابهـا انفرجا لقد تفجر فجر النصر وانبلجـا

ونأخذ من هذه الترجمة أن ابن سماك كان قد توفى حينما كتب ابن الخطيب عنه هذه السطور بدليل ترحمه عليه ، هذا وإن كان من أترابه القريبين منه فى السن ، كما استخلصنا من اشتراكهما فى الأخذ عن مجموعة واحدة من الشيوخ . ومن الواضح أن ابن سماك المذكور كان من كتاب ديوان الإنشاء الذى كان ابن الخطيب يتولى رياسته منذ سنة ٧٤٩ (١٣٤٩) فى أيام أبى الحجاج يوسف ، وأنه كان من شعراء البلاط النصرى المتابعين للوقائع والأحداث الجارية فى غرناطة كما نرى فى اشتراكهما فى تهنئة السلطان بفتح كركبول سنة ٧٤٠ (١٣٣٩) . وكانت تربط ابن سماك بابن الخطيب علاقة طيبة وإن كان بين الرجلين ما بين المرؤوس والرئيس ، بدليل أن ابن سماك استشفع به حينما كتب إليه يهزه إلى إنجاده وإسعاده فى حاجة له إلى السلطان . ولا غرو فقد كان ابن سماك من جملة كتاب ديوان الإنشاء حينما كان ابن الخطيب وزيراً عظيم الجاه مرموق المكانة .

وابن الخطيب — كعادته فى تراجمه التى ضمنها « الكتيبة » — لا يهتم بإيراد تواريخ الميلاد والوفاة والأحداث الرئيسية فى سير من يترجم لهم ، وذلك لأن هدفه كان أدبياً محضاً . ولهذا فإن التاريخ الوحيد الذى لدينا حول وفاة ابن سماك هو الذى أورده ابن حجر فى « الدرر الكامنة » وهو المحرم سنة ٧٥٠ هـ. ولكن ما لحق هذه الطبعة من تحريف وتشويه يجعلنا لا نطمئن تماما إلى صحة هذا التاريخ ، ثم إننا نلاحظ أن ابن حجر كان قد حدد وفاة محمد بن سماك والد أبى العلاء المذكور هنا بسنة ٧٦٠ هـ. ، وعلى ذلك يكون أبو العلاء قد توفى فى حياة والده وقبله بعشر سنوات . وليس ذلك أمراً مستحيل الوقوع بغير شك ، ولكنه لا يخلو من الغرابة ، والمعتاد فى مثل هذه

الحالات أن ينص المترجمون على ملاحظة ذلك . وهذا هو ما يجعلنا متحفظين أمام هذين التاريخين الواردين فى ترجمتى ابن حجر ، ولسنا نستبعد أن يكون التاريخ الثانى محرفا عن ٧٧٠ (١) .

— ٤ —

أبو القاسم محمد بن أبي العلاء بن سماك مؤلف «الزهرات المنثورة» :

ونأتى فى النهاية إلى آخر من نعرفه من بنى سماك ، وهو مؤلف الكتاب الذى نقدم له بهذه الصفحات . ونعنى به ابن الذى فرغنا من الترجمة له : أبا القاسم محمد بن أبى العلاء محمد بن محمد بن سماك العاملى . وليس بين أيدينا من أخباره إلا الترجمة التى أفردها له ابن الخطيب فى «الكتيبة» فى القسم الخاص بطبقة الكتاب الشعراء . وفيها يقول (٢) :

«من كتاب الدولة ، فاضل نجيب ، ولدواعى المجادة والاجادة مجيب ، ونوارة مرعى خصيب ، وفائز من سهام الإدراك بنصيب . خصاله بارعة ، ونصاله شارعة ، وشمائله إلى نداء الفضائل مسارعة ، على حداثة يندر معها الكمال ، وتستظرف الأعمال ، فإن انفسح مداه ، بلغت السماك يداه» .

---

(١) بعد أن كتبنا هذه السطور خطر لنا أن تاريخ وفاة أبى العلاء بن سماك الذى حدده ابن حجر بالمحرم سنة ٧٥٠ يمكن أن يكون صحيحاً وأن ما استغربناه من أمر وفاته فى حياة أبيه وقبله بعشر سنوات لا يستبعد إذا قررنا أن سنتى ٧٤٩ و ٧٥٠ كانتا هما اللتان وافقتا انتشار وباء الطاعون الهائل الذى دهم العالم الاسلامى كله ومعظم القارة الأوربية أيضاً . وقد توفى فى هذا الوباء كثير من أهل غرناطة ، فقد يكون ابن سماك هذا ممن أصيبوا فيه . وقد اختص ابن الخطيب وتلميذه الأديب الشاعر ابن خاتمة ذلك الطاعون برسالتين تدلان على مدى ما أوقعه من ذعر فى نفوس أهل غرناطة .

(٢) الكتيبة الكامنة ، رقم ١٠٠ ، ص ٢٩٩ — ٣٠١

وليس فى هذه الترجمة كما نرى كثير من المادة التاريخية ، ولكنها مع ذلك لا تخلو من غناء ، وأهم ما نستفيده منها هو أن ابن سماك — شأنه فى ذلك كشأن والده — كان من كتاب ديوان الانشاء ، إلا أنه كان صغير السن ، حديث عهد بتولى منصب الكتابة ، يدل على ذلك الأسلوب « الأبوى » الذى يتحدث به المؤلف عما توسم فيه من مخايل النجابة وعما يتنبأ له به إذا امتد به حبل العمر ، فإشارته إلى « الحداثة » وتعبيره عنها بأنه « نوارة مرعى خصيب » تدل دلالة واضحة على أن أبا القاسم كان آنذاك فى ريعان الشباب . ويظهر أنه كان قد التحق بخدمة ديوان الانشاء الذى كان يعمل فيه أبوه أبو العلاء قبل جواز ابن الخطيب إلى المغرب فى جمادى الآخرة سنة ٧٧٣ (ديسمبر سنة ١٣٧١ — يناير ١٣٧٢) بقليل . ونحن نعرف أن ابن الخطيب ألف كتاب « الكتيبة » بأخرة من عمره فى جمادى الآخرة سنة ٧٧٤ (ديسمبر ١٣٧٢) . ونحن نتصور أن ابن سماك كان آنذاك فى سن تتراوح بين العشرين والثلاثين مما نرجح معه أن يكون مولده فى نحو منتصف القرن الثامن الهجرى . وقد سبق لنا أن نقلنا ما أورده ابن حجر حول تاريخ وفاة أبيه وجده . فلو صح ذلك — ولسنا نثق تماماً فى صحته — لقدرنا مولد أبى القاسم قبل سنة ٧٥٠ بقليل ، وهى سنة وفاة أبيه ، ثم يكون قد تربى فى كنف جده الذى امتدت به الحياة بعد ذلك نحواً من عشر سنوات ، وأن عمره كان حينما كتب ابن الخطيب ترجمته فى « الكتيبة » ما بين الخامسة والعشرين والثلاثين .

ونحن نعرف أن ابن الخطيب كتب هذا الكتاب متخذاً نفسه محوراً له ، فهو يُدِلُّ فيه بما كان له من فضل على الوسط الأدبى فى الأندلس ، ولهذا فإن معظم ما أورده فيه من نصوص كان إما موجها إليه أو مما أثار هو القول فيه أو اقترحه على ناظميه . كذلك كان من أهدافه فى الكتاب إعادة تقويم الأشخاص الذين اتصلت حبالهم بحباله ، وكان من بينهم من تنكروا له وأخبوا

وأوضعوا فى التآمر عليه بعد فراره من الأندلس ، من أمثال ابن الحسن النباهى وابن زمرك . وكان قد ترجم لبعض هؤلاء فى « الإحاطة » تراجم أسبغ فيها عليهم حلل المديح ، فأراد فى هذا الكتاب أن يشفى غليله من هؤلاء وأن يعيد تقويم سلوكهم وشخصياتهم بقدر ما عاملوه به إحسانا أو إساءة . ونحن نرى مثلا لذلك فى ترجمتيه لابن زمرك ولأبى الحسن النباهي اللذين استبلغ فى ذمهما ، ناقضا بذلك ما كان سطره من قبل فى « الإحاطة » من الثناء عليهما .

وإنما نقول ذلك لأننا نرى فى ثناء ابن الخطيب على أبى القاسم بن سماك ما يدل على أن هذا الأديب ظل وفياً لأستاذه ابن الخطيب : لم يتنكر له ولم يسع فى إذايته كما فعل غيره ممن دانوا له بكثير من فضل التعهد والرعاية .

وقد أورد ابن الخطيب فى ترجمته لأبى القاسم بن سماك قصيدة وجهها أديبنا إليه [1] ، وفيها يتغنى ببلاغة أستاذه وسمو بيانه ، إذ يقول منها :

هذا أوان حلال السحر في كلم ... هن الدرارى وباسم الدر نسميها
أنوار علم يفوت الفكر مدركها ... إن أبصرتها عيون الشهب تدميها
من علية فى سماء المجد طالعة ... من للكواكب علوا أن تساميها
تظل أندلس تزرى بمنشئها ... على العراق وناشيها وناميها
قد كنت أوسعها حمدا وأشكرها ... وإنما العجز قد أعيا مراميها
لكن إذا نسبت لابن الخطيب فقد ... كفانى الفخر منها أن أسميها
له الحقيقة منها وهو مظهرها ... وإنما لهم منها أساميها

ولهذه القصيدة مناسبة طريفة تطلعنا على لون من ألوان المساجلات الأدبية التى كان ابن الخطيب يديرها فى غرناطة ويستثير تلاميذه وناشئة المتأدبين

(١) الكتيبة ص ٣٠٠ — ٣٠١

المحيطين به على المشاركة فيها . فقد جاء فى تقديم القصيدة : « ومن شعره وقد كلف الكتاب بلزوم ، وشد حيزوم (١) ، حسبما تكرر فى أسماء نظرائه .. الخ » . وربما بدا النص هكذا غامضاً بعض الشيء ، ولكن الذى يرجع النظر المتأمل فى صنعة القصيدة ويطالع سائر تراجم الكتيبة يمكن له أن يتفهم ما رمى إليه ابن الخطيب . فالقصيدة كما نلاحظ « لزومية » أى أن الشاعر يلتزم فيها حرفا قبل حرف الروى (الهاء) وهو هنا حرف الميم . وتفسير ذلك أن ابن الخطيب كان قد نظم على ما يبدو قصيدة من هذا البحر والروى وجه بها إلى تلمسان ، والتزم فيها حرفا قبل حرف الروى (٢) . ويظهر أن القصيدة قد ظفرت بإعجاب الأوساط الأدبية هناك ، فطلب إلى ابن الخطيب أن يستثير قرائح شعراء الأندلس لكى ينظموا على هذا النسق فى معارضة قصيدته ، على أن يلتزم كل شاعر بحرف من حروف المعجم قبل الهاء ، فاختار كل شاعر حرفا ، أو لعله كلف من قِبَلِ ابن الخطيب ، بحرف معين . وأثبت مؤلف الكتيبة نماذج من خمس قصائد من هذه المعارضات اللزومية لخمسة شعراء كلهم من تلاميذه المعجبين به ، وقصائدهم كلها مختتمة بمدح شيخهم ابن الخطيب والإشادة ببراعته فى النظم على هذا النسق . وكان ابن سماك أحد هؤلاء الخمسة (٣) . وهذا مثل من الأمثلة التى كان ابن الخطيب يدرب فيها تلاميذه على قول الشعر ويحركهم له ويستحثهم على إعمال قرائحهم فيه ، مثيراً التنافس بينهم على الإجادة .

---

(١) فى الأصل المطبوع : « وشد جبر حيزوم » ، ونظن أن كلمة « جبر » مقحمة إذ لا معنى لها فى السياق .

(٢) يقول ابن الخطيب فى ترجمة أبى القاسم بن قطبة : « قال فى الغرض الذى نظمت فيه الحلبة من الأبيات اللزوميات الموجهة إلى تلمسان حسبما ثبت فى أسمائهم » (الكتيبة ص ٢٩١) .

(٣) هم — فضلا عن أبى القاسم بن سماك — : أبو على حسين بن عبد الحكيم بن تدرارت التينملى ، وحرف اللزوم فى قصيدته القاف (ص ٢٠٩) ؛ وأبو القاسم بن قطبة ، وحرف اللزوم عنده الباء (ص ٢٩١) ؛ وأبو القاسم محمد بن أبى عاصم ، وحرف اللزوم عنده القاف (ص ٢٩٨) ؛ وأبو العباس بن الشريف أبى القاسم الحسنى ، وحرفه الحاء (ص ٣٠٢) . أما ابن سماك فإنه التزم كما رأينا حرف الميم .

سِمَاك

اسماعيل

أحمد

عيسى

اسماعيل

أحمد

أبو محمد عبد الله (ت ٥٤٠)

محمد (كان حيا سنة ٥٥٥)

أبو جعفر أحمد (ت ٥٧٥)

أبو محمد عبد الحق

أبو جعفر أحمد (كان حيا سنة ٦٣٦)

سماك

محمد (٦٨٣ — ٧٦٠)

أبو العلاء محمد (ت ٧٥٠ ؟)

أبو القاسم محمد

مؤلف «الزهرات المنثورة»

سالم

عبد المنعم (٦١٣—٧٠٣)

شجرة نسب بنى سِمَاك العامليين

وغنى عن القول أن نذكر أن ابن سماك حينما كتب شيخه ابن الخطيب عنه تلك السطور لم يكن قد ألف بعد كتاب « الزهرات المنثورة » . وأن هذه السطور القليلة هى التى قدمت لنا المعلومات الوحيدة حول مؤلفنا وحياته .

أما سنة وفاته فلم يتبين لنا شىء حولها . ولكن من الواضح أن الجزء الأكبر من حياته لابد أن يكون قد درج خلال النصف الثانى من القرن الثامن ، فكان ابن سماك معاصراً لذلك الجيل من تلاميذ ابن الخطيب الذين تخرجوا على يديه وحملوا شعلة الثقافة العربية فى غرناطة من بعده من أمثال أبى الحسن النباهى وابن زمرك وابن خاتمة وابن هذيل .

— ٥ —

زمن تأليف كتاب « الزهرات » :

من الواضح بعد ما ذكرناه حول حياة أبى القاسم محمد بن سماك مؤلف كتاب « الزهرات » أن تأليف الكتاب لابد أن ينحصر بين سنة ٧٧٤ (١٣٧٣) وهو الوقت الذى كان ابن الخطيب يؤلف فيه « الكتيبة » ووفاة السلطان النصرى محمد الغنى بالله (٧٩٣/١٣٩١) الذى طرز الكتاب باسمه . ونتصور أن الكتاب — وهو مجموعة من المختارات لا تبدو فيها شخصية المؤلف قوية واضحة — أقرب إلى أن يكون من نتاج الشباب ، ونرجح أن يكون راجعاً إلى هذه السنوات التى تلت وفاة ابن الخطيب مباشرة أى أواخر العقد الثامن وأوائل العقد التاسع .

وكانت غرناطة بنى الأحمر قد بلغت خلال هذه السنوات أوج عظمتها وقوتها السياسية والعسكرية ، يبدو ذلك واضحاً سواء فى سياستها الافريقية أو

فى علاقاتها مع جاراتهـا النصرانية . أما فى الشمال الافريقى فقد كان سلطان المرينيين قد تضعضع بصورة واضحة منـذ وفاة السلطان أبى فارس عبد العزيز فى شهر ربيع الآخر سنة ٧٧٤ (اكتوبر ١٣٧٢) . وتمكن السلطان النصرى بعد ذلك من احتلال جبل طارق وإلغاء منصب « شيخ الغزاة المغاربة » الذى كان يتمثل فيه ضرب من الوصاية العسكرية المرينية على الأندلس ، وتم ذلك فى نفس السنة التى قتل فيها ابن الخطيب بتدبير من مخدومه السابق سلطان غرناطة (٧٧٦/١٣٧٤) . ثم يستولى الغنى بالله على سبتـة وتأتى بعد ذلك سلسلة من أعمال التدخل الصريح من جانب الملك الغرناطى فى شؤون المغرب حتى يصبح هو المتصرف فى خلع سلاطينه وتوليتهم على هواه ، وتستمر هذه السياسة حتى نهاية حكم محمد الغنى بالله .

وأما بالنسبة للعلاقات بين غرناطة والممالك المسيحية فإن النصف الثانى من القرن الثامن الهجرى يوافق أطول فترة من السلام نعمت بها غرناطة النصرية ، ولا شك فى أن ذلك يرجع إلى الكفـاءة السياسية النادرة التى عالج بها محمد الغنى بالله أمور سياسته الخارجية مع مملكتى قشتـالة وأرغون ، مراوحا بين إظهار القوة كلما تمكن من ذلك والمداراة فى أغلب الأحوال ، هذا وإن كان الفضل فى وضع هذه السياسة إنما كان يرجع إلى وزيره السابق وغريمه بعد ذلك لسان الدين بن الخطيب نفسه الذى يقول فى وصف هذه السياسة قبـل مغادرته غرناطة بقليل : « وشرعت فى عقد السلم مع العدو لسنين ، ورتبت الأمر ترتيب الآباء للبنين ، ورجوت إحسان الله لى »(١) . وأعان على ذلك ما اتفق من تزايد ضعف مملكة قشتالة على عهد ملوكها من أسرة تراستمارا

---

(١) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، القسم الأندلسى ، بتحقيق ليفى بروفنسال ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٥٦ ، ص ٣١٧ ؛ وانظر دراسة الدكتور مختار العبادى التى أشرنا إليها من قبل ص ٥٦ وما بعدها .

Trastámara . وهكذا تمكنت هذه الدولة الإسلامية الصغيرة من أن تتمتع بهيبة أكبر بكثير من حجمها ومن قوتها الفعلية إزاء جاراتها النصرانية (١) .

ولو أننا تأملنا كتاب «الزهرات» الذى بين أيدينا لرأينا المؤلف يشير إلى هذا الجانب من سياسة غرناطة الخارجية إشارة صريحة واضحة ، وذلك إذ يقول متحدثا عن سلطانه محمد الغنى بالله الذى يهدى إليه الكتاب : «... والمدارى بحسن سياسته الناجحة لِطَائِفِ كفارها . فها نحن فيها بين بحر متلاطم الأمواج ، وسيف عدو وافر الجموع كثير الأفواج» .

وقد كان لهذا السلام الذى نعمت به غرناطة خلال هذه السنوات أثر طيب على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والفكرية ، فقد سادها الاستقرار والرخاء ، وهو ما يسجله ابن سماك فى خاتمة الكتاب إذ يقول :

«فالخيرات عندنا موفورة ، والأرزاق مستدرة ، والمنة دائمة بحول الله ومستمرة ، وكلمة الإسلام فيها ثابتة إلى يوم الدين ومستقرة ، ورعيتها فاقت رعايا الملوك فى الثراء والسعة ، واغتبطت بالاستذراء فى كنف الأمن والدعة ، ففشت العمارة ، وحسنت الشارة ، ونمت المكاسب ، وفرهت المراكب ، وعزت الجوانب ، وترتبت المراتب ، وأجزلت المواهب ، وخفت النوائب ، وتألفت على الطاعة المذاهب ، فخالنا فيها — معشر المسلمين — أحسن الناس حالا ، وأعمهم صلاحا ، وأقلهم جناحا ، وزماننا فيها أبهج زمان ، فليس له من ثان ، ووطننا والحمد لله أبعد وطن عن السوء وأدفعه للحدثان» .

---

(١) عن سياسة غرناطة الخارجية وعلاقاتها بدول المغرب وبدولتى قشتالة وأرغون انظر كتاب الدكتور مختار العبادى ص ٥٥ — ١٠٩ ، ؛ وانظر موجزاً طيبا لهذه السياسة فى كتاب ميجيل أنخل لاديرا : غرناطة : تاريخ بلد إسلامى
Miguel Ángel Ladera: Granada: Historia de un país islámico, Madrid, 1969, pp. 94-100.

وقد يكون فى هذه العبارات شيء من الإفراط فى التفاؤل والإسراف فى رسم صورة مذهبة لغرناطة فى أيامه ، حتى إن ابن سماك يرى زمانه أبهج زمان ووطنه أبعد الأوطان عن السوء ، بل إنه قبل ذلك يصف جزيرته الأندلسية بأنها « جنة الدنيا » ، ومصره « قيروان الأمصار » . ولا ننس أن المؤلف يصل كلامه هذا بالتمدح بصفات سلطان غرناطة والإشادة بحسن سياسته وبسهره على مصالح رعيته ، مما يلقى على هذه الكلمات شبهة التزلف الذى لا يؤمن معه تصوير الأشياء على غير حقيقتها . ومع ذلك فنحن لا نخلى وصفه هذا من الصدق جملة ، فالأديب مهما دعاه تقربه إلى ممدوحه للاسراف والمبالغة فلسنا نخاله يحيل الأمور عن وجوهها أو يقلب الحقائق قلبا كاملا ، وتأمل أحوال غرناطة خلال السنوات التى نرجح فيها تأليف الكتاب يدل على أنها كانت تجرى على سنن الاستقامة والصلاح ، وعلى أن المؤلف لم يبالغ كثيراً حينما قدم لنا هذه الصورة المشرقة المتفائلة لوطنه الأندلسى .

وتستوقف نظرنا هذه العبارة التى يتحدث فيها المؤلف فى الفقرة التى نقلنا نصها عن « فُشُوِّ العمارة ، وحسن الشارة » ففيها تعبير يصدقه الواقع التاريخى عن ذلك الاهتمام الكبير الذى أولاه السلطان الغنى بالله للأعمال المعمارية والمنشآت الجليلة ، فقد ساد غرناطة خلال هذه السنوات ما يسميه الأستاذ غرسية غومس بحق « حمى البناء والعمارة » (١) . وقد كانت هذه الفترة هى التى شهدت تجميل عمارة قصر الحمراء وإعطاء هذا الأثر المعمارى العظيم صورته النهائية ، فضلا عن عدد كبير من المنشآت الأخرى .

---

(١) انظر دراسته عن « ابن زمرك شاعر الحمراء » فى كتابه « خمسة شعراء مسلمين »
Emilio García Gómez: Cinco poetas musulmanes, Col. Austral, pp. 200-201.
وانظر كذلك دراسة الدكتور مختار العبادى عن مملكة غرناطة فى عهد محمد الغنى بالله ص ٢١٣ وما يليها .

- ٦ -

الهدف من تأليف الكتاب :

كتاب « الزهرات المنثورة » مجموعة من الأخبار والطرائف والمواعظ مما قصد به المؤلف إلى تقديم مادة لتثقيف المتأدبين من الأمراء وأبناء السلاطين ، مادة يودعها المؤلف خلاصة لقراءاته فى كتب الأدب التى تضم أطرافا من كل فن ، ويبدو الهدف التربوى التهذيبى بشكل خاص فى الزهرات الأولى التى تدور حول السلطان وسياسة الرعية وواجبات الحاكم والمحكومين .

وهذا النوع من التأليف قديم عرف فى الشرق الإسلامى منذ أوائل العصر العباسى ، فقد كتب فيه ابن المقفع والجاحظ وأفرد له ابن قتيبة فصولا كثيرة من كتابه « عيون الأخبار » ، وانتقل إلى الأندلس منذ عصر مبكر ، وكان من أول المؤلفين فيه ابن عبد ربه القرطبى (ت ٣٢٨/٩٤٠) صاحب كتاب « العقد » الذى نجد فصوله الأولى منذ كتاب « اللؤلؤة فى السلطان » تستهدف ما يمكن أن يسمى بالتربية السياسية ، ولو أن الكتاب يجمع إلى جانب ذلك مواد أخرى تؤلف منه ما يشبه أن يكون موسوعة ضخمة فى شتى ألوان المعارف .

ومما يمثل هذا الطابع فى التأليف فى الأندلس فى العصور التالية كتاب « سراج الملوك » لأبى بكر محمد بن الوليد الطرطوشى (ت ٥٢٠/١١٢٦) ، وموضوعه سياسة الملوك وعلاقاتهم برعيتهم فى السلم والحرب وما يجب أن يتحلوا به من فضائل ، مع ضرب الأمثال وإيراد كثير من الوصايا والمواعظ .

ويطول بنا الأمر لو حاولنا أن نستعرض ما كتب فى هذا الموضوع فى الأندلس حتى القرن الثامن الهجرى ، ولكننا ننبه إلى أن من أقرب ما كتب

فيه إلى عصر مؤلف الزهرات عدة رسائل للوزير الغرناطى أستاذ ابن سماك : لسان الدين بن الخطيب ، وقد احتفظ لنا المقرى منها برسالته فى « السياسة » التى كتبها فى صورة مقامة (١) ، ولا شك فى أن ابن سماك قد عرف هذه الرسالة واستفاد منها فى اختياره لبعض الأخبار التى قصد منها إلى رسم صورة مثالية للحاكم الإسلامى .

وهناك كتاب آخر يستحق منا وقفة متأنية إذ أن مؤلفه كان معاصراً لابن سماك ، بل وزميلا له فى العمل بديوان الإنشاء للسلطان النصرى محمد الغنى بالله . أما المؤلف فهو أبو الحسن على بن عبد الرحمن بن هذيل الغرناطى (٢) وهو كاتب لا نكاد نعرف عنه شيئا على الرغم من الكثرة النسبية لما وصل إلينا من آثاره ، وكتبه تدل حقاً على مستوى رفيع من الثقافة والعلم . ومن هذه الكتب « حلية الفرسان وشعار الشجعان » الذى نشره الأستاذ محمد عبد الغنى حسن فى القاهرة ، وهو القسم الثانى من كتابه « تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس » الذى نشره المستشرق الفرنسى لويس مرسييه Louis Mercier بطريقة الفوتوتيب سنة ١٩٣٦ . وأما كتاب ابن هذيل الذى نرى فيه مشابه كثيرة من « زهرات » ابن سماك فهو « عين الأدب والسياسة ، وزين الحسب والرياسة » ، وهو كتاب ظفر منذ قديم بعناية الناشرين ، فقد طبع بالقاهرة

---

(١) نفح الطيب ٦ / ٤٣١ — ٤٤٥ .

(٢) حول ابن هذيل انظر M. Casiri: *Bibliotheca arabico-hispana,* II, pp. 29, 329.
Pons Boigues: *Ensayo,* n.° 292, pp. 332-333.
Brockelmann: *Geschichte,* Suppl. II, p. 379.
والمصادر المثبتة فى هذه المراجع ، وانظر كذلك تقديم الأستاذ محمد عبد الغنى حسن لنشرته لكتاب « حلية الفرسان وشعار الشجعان » لابن هذيل ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٤٩ ، ص ٧ — ١٩ . ولم تفدنا المصادر بتاريخ مولد ابن هذيل ووفاته ولكن يستخلص من آثاره العلمية أنه عاش خلال النصف الثانى من القرن الثامن ، فقد أهدى كتابه تحفة الأنفس للسلطان محمد الغنى بالله فى سنة ٧٦٣ (١٣٦٢) وأهدى حلية الفرسان لمحمد المستعين بالله حفيد محمد الغنى بالله الذى حكم غرناطة بين سنتى ٧٩٤ و ٨١٠ (١٣٩٢ — ١٤٠٨) .

ثلاث مرات : سنة ١٨٨٥ ، ثم ١٩٠٠ ، ثم ١٩٣٨ . والكتاب يضم منتخبات من نوادر الأخبار والأمثال والحكم والمواعظ مما يسهل على المتعلمين حمله . فهو من هنا يتفق إلى حد بعيد مع « زهرات ابن سماك » فى طريقة التأليف وفى الهدف منه (١) . بل إن هناك اشتراكا يصل إلى حد التطابق فى بعض النصوص التى يوردها الكتابان (٢) . ومن غريب الاتفاق أن ابن هذيل ينقل نصوصاً من كتاب يدعوه « الزهرات » ولكنه ينسبه إلى ابن سعيد (٣) . أما أوجه التشابه التى أشرنا إليها بين الكتابين فربما أدى إليها تشابه الموضوع واتحاد المصادر ، إذ معظم ما جاء فيهما منقول من كتب الأدب العامة سواء منها المشرقية والأندلسية .

غير أن منهج كاتب « الزهرات » فى تقديم هذه المواعظ والأخبار يختلف عن منهج سابقيه ، فهو يسلك فى إيرادها سبيل الإبلاغ فى الاختصار ، وهو يقدمها بغير أدنى تعليق منه ، وكأنه يرى أن كل خبر يكفي فى تقديم العظة بنفسه . وهو يتفق فى هذا مع روح العصر الذى كانت الثقافة العربية خلاله

---

(١) انظر ما جاء فى مقدمة الزهرات : « فإن للاطلاع على أخبار المتقدمين ، ومن سلف من خيار المسلمين ، لمسلاة للنفس ، واستجلابا لحصول الأنس ، لما يتخلل ذلك من نوادر الأخبار ، ويفيد من المواعظ والاعتبار ، ولما يشتمل عليه من ضروب الفوائد ، ويوقظ إليه من الهداية إلى جميل السير وكريم المحامد ، لا سيما أخبار الملوك والأمراء ، والحجاب والوزراء . . . الخ » . وقارن ذلك بقول ابن هذيل (عين الأدب ، الطبعة الثالثة ص ١٢٩ — ١٣٠) : « وليس يكمل أدب المرء حتى يعرف المثل السائر ، والبيت النادر ، وما يحكى عن أهل العصور من الأخبار العجيبة ، والمعانى الغريبة ، ففى ذلك العلم بالأمور والعقل المكتسب ، والأدب الصادر عن ذوى المروءة والحسب ، ولم تزل الحكايات والأخبار تذكر فى معرض الاعتبار ، وتورد موارد الاستبصار » .

(٢) قارن ما جاء فى الزهرة الثانية (تلخيص بزرجمهر الحكمة لكسرى أنو شروان فى اثنتى عشرة كلمة) وما ورد فى عين الأدب ص ١٣٠ — ١٣١ ؛ وما جاء فى الزهرة الثالثة (حول طبقات الرعية) وعين الأدب ص ٦٨ .

(٣) انظر عين الأدب ص ١٤٤ ، ١٦٣ . وإذا كان المقصود هنا على بن موسى بن سعيد صاحب كتاب المغرب (ت ٦٨٥/١٢٨٦) فإننا لا نعرف كتاباً له بهذا العنوان .

سائرة فى طريق النضوب وفقد معين الأصالة ، فالمؤلفات إما مطولات جهد المؤلف فيها هو الجمع أو على الأكثر التذييل والتعليق ، أو مختصرات تسعى إلى تيسير الجهد على المتأدبين ، فتقدم إليهم خلاصة موجزة تغنيهم عن قراءة الكتب المطولة . ولعل من أبرز من يمثلون هذا الاتجاه إلى الإسراف فى الاختصار مؤلفا من الجيل السابق على جيل أديبنا ، هو أبو عثمان سعد (أو سعيد) بن أحمد بن ليون التجيبى (ت ٧٥٠/١٣٤٩) (١) ، وكان يحكى عنه أن رجلا من كبراء المغرب رأى رجلا مفرط الطول فقال لمن حضره : « لو رآه ابن ليون لاختصره » (٢) ، إشارة إلى شغفه باختصار الكتب .

ويظهر أن همم الناس ولا سيما الأمراء والكبراء منهم كانت قد فترت عن تجشم مئونة القراءة الكثيرة ، وكانت تريد اليسر والسهولة ، وتكفل لهم مؤلفون مثل ابن ليون وابن سماك بتقديم هذه المادة الميسورة ينتقونها من هنا وهناك مع توخى أشد الاختصار : « فاجتمع منها زهرات يانعة ، لفنون الأخبار جامعة ، بديعة الوضع ، مجنبة من الطول ، فيها استبصار لذوى العقول » .

ولعل مما يشير إلى إلحاح فكرة الاختصار على المؤلف ويدل على التزامه بها — وربما كان فى ذلك أيضاً اعتذار عن ذلك الإسراف فى هذا المنزع ودفاع عنه — ما يذكره فى الزهرة الأولى من أنه لما كثرت « الحكمة » اختصرها الحكماء الأولون فى ٤٠٠,٠٠٠ كلمة ، ثم أتى جيل آخر من الحكماء فاختصروها فى ٤٠٠٠ كلمة ، وما زالت الأجيال التالية تختصر تلك الكلمات حتى انتهوا بها إلى أربع .

---

(١) عن ابن ليون انظر ابن الخطيب : الكتيبة رقم ٢٤ ص ٨٦ ؛ المقرى : نفح الطيب ٥/٥٤٣ — ٦٠٣ ؛ أحمد بابا التنبكتى : نيل الابتهاج ص ١٢٣ — ١٢٤ .

(٢) المقرى ٥ / ٥٤٣ — ٥٤٤ .

— ٧ —

مصادر « الزهرات » ومادتها :

لم يشر المؤلف إلى المصادر التى استمد منها مادة « الزهرات » ، وما كان ليفعل ذلك مَنْ عَمِد إلى مثل ما عمد إليه من الاختصار والتخفف . ومن الواضح أن مثل هذه الكتب لا يمكن أن تقدم جديداً ، إذ هى ليست إلا ثمرة قراءات من هنا ومن هناك . على أننا رجعنا إلى المظان التى يمكن أن يكون ابن سماك نقل عنها ، فرأينا معظمها من كتب الأدب والتاريخ العامة مثل عيون الأخبار وغيره . ولسنا نظن المؤلف قد رجع إلى المصادر الأصلية ، إذ أن كثيراً من تلك الكتب المؤلفة فى الشرق قد استوعبته الكتب الأندلسية من أمثال « العقد » لابن عبد ربه و « بهجة المجالس وأنس المجالس » لابن عبد البر النمرى و « سراج الملوك » لأبى بكر الطرطوشى ، وقد كان فى وسع المؤلف أن يرجع إلى أمثال هذه الكتب دون أن يجشم نفسه مشقة استقراء المصادر الشرقية الأصيلة .

هذا فيما يتعلق بالمادة المشرقية فى الكتاب ، وهى تؤلف الجزء الأكبر منه ، إذ تبلغ اثنتين وستين زهرة من مجموع الزهرات المائة . وغلبة الأخبار المشرقية على الكتاب لا تخلو من دلالة ، فالمسلمون فى غرناطة فى ذلك العصر الذى تقلصت فيه دولة الإسلام وأحاط بها أعداؤهم ملحين عليهم بالحرب وتنقص الأطراف كانوا أشد شعوراً بالحاجة إلى الارتباط بعالم إخوانهم المسلمين فى المشرق . وكأن المؤلفين الغرناطيين فى إحساسهم بوقع المحنة على بلادهم واشتداد الخطر المتربص بها — كانوا يودون أن ينبهوا مواطنيهم إلى ضرورة التطلع إلى ذلك التراث الإسلامى العربى الذى يربط بينهم وبين بلاد الشرق . ومن هنا كان اتجاه ابن سماك إلى ضرب الأمثال من سياسة عظام خلفاء الشرق

الإسلامى من أمثال الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم ثم معاوية بن أبى سفيان وعبد الملك بن مروان وهشام بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز من خلفاء بنى أمية ، ثم من بعدهم من خلفاء بنى العباس مثل أبى جعفر المنصور والمهدى والرشيد والمأمون ، ومن كبار رجالات الدولة الإسلامية مثل عمرو بن العاص والحجاج الثقفى والبرامكة وعضد الدولة البويهى ونور الدين محمود بن زنكى وجمال الدين الإصبهانى ، أو من أئمة العلماء والمتصوفة من أمثال معروف الكرخى وشقيق البلخى وحاتم الأصم وبرهان الدين البلخى . ولا يعدم المؤلف رمزاً يتمثل فيه الارتباط بين حضارة وطنه الأندلسى والتراث الإسلامى القديم ، وهو شخصية الصحابى الكبير سعد بن عبادة الخزرجى الأنصارى الذى يورد ابن سماك دعاءً له (الزهرة ٩٩) وابنه قيس بن سعد الذى يورد عنه خبراً يصور مروءته وكرمه (الزهرة ١٩) ، وحديث المؤلف عن هذين الصحابيين مقصود له مغزاه السياسى ، فملوك بنى الأحمر أصحاب غرناطة من سلالة هذا الصحابى الجليل قيس بن سعد بن عبادة . وكأن ابن سماك يود أن يُذَكِّرَ مواطنيه الأندلسيين بفضل هذه الذرية الصالحة ويحثهم على التمسك بولاء ملوكهم النصريين الذين أعز الله بهم كلمة الإسلام آخراً ، كما نصرها بسلفهم أولا . ولهذا فإنه يدعو فى تقديم كتابه للسلطان النصرى « ذى الملك الأعز والسلطان الأحمى ، سليل الخلفاء الخزرجيين والملوك الصيد » .

أما المادة الأندلسية فى الكتاب — وهى ما ذكرنا لا تتجاوز ثمانيا وثلاثين زهرة من مجموع الزهرات المئة — فإنها تستحق منا وقفة خاصة ، وسنورد فيما يلى ملاحظاتنا عليها :

١ — أول ما يستوقف الباحث هو أن معظم أخبارها يدور حول خلفاء الأندلس الأقدمين ورجالاتهم الذين برزوا فى شئون السياسة والحرب وتدبير الدول . وتبدو من إيراد المؤلف لتلك الأخبار رغبته فى تذكير قرائه الأندلسيين

بماض مجيد ينبغى عليهم أن يعتزوا به ويتأملوا مظاهر العظمة فيه وفى الرجال الذين صنعوه : نرى ذلك فى الخبرين المتعلقين بموسى بن نصير ومآثر أبنائه والحديث عن الأمم التى حاربها ، ثم فى ذكر إضفاء أبى جعفر المنصور لقب « صقر قريش » على غريمه عبد الرحمن بن معاوية الداخل ، وفى الحديث عن جزالة الحكم بن هشام ورباطة جأشه فى موقفه إزاء ثورة الربض ، وعن وصيته لابنه وهو مُشْرِف على الموت ، وعبد الرحمن بن الحكم الأوسط وكرمه وبلاغته ، والأمير محمد وحيائه ومروءته ، وذكائه وبعد غوره فى أمور السياسة كما يبدو فى خبره مع أبى اليسر الرياضى ، وعبد الرحمن الناصر وتواضعه مع وزرائه ورجال دولته ثم حسن تدبيره للدولة ومعرفته بمواقع من تحسن الصنيعة عنده من أفراد رعيته ، وفى ذلك الحديث العام عن سياسة خلفاء بنى أمية ورسوم دولتهم كما نرى فى كلامه عن تحول الأندلسيين فى أيامهم من الأوزاعية إلى المالكية ، وإقامتهم دار السكة ، والمسائل الكبرى التى كانوا يولونها جل اهتمامهم ، ثم عن وزرائهم ورجال تدبيرهم من أمثال أمية بن عيسى بن شهيد وهاشم بن عبد العزيز . ولا تخلو الزهرات من استرجاع ذكرى جهود بعض عباقرة الأندلس الأقدمين فى ميادين العلم والكشف مثل الحديث عن مغامرة عباس بن فرناس فى إحدى المحاولات الأولى للطيران .

كذلك نلاحظ إلحاحاً على ذكر أخبار المنصور بن أبى عامر الذى اختصه المؤلف وحده بتسع زهرات صور لنا من خلالها جوانب من شخصيته : فى كرمه وتفضله على طالبى عرفه ، وفى تواضعه وعفوه عند مقدرته ، وفى هيبته وشدة عقابه ، وفى عدله وذكائه وضبطه لأمور دولته . ويرسم المؤلف بذلك صورة مذهبة للحاجب العامرى يختلط فيها الواقع التاريخى بألوان التصور الشعبى الأسطورى . ومثل هذه الصورة يمكن أن تلقى ضوءاً على الحالة النفسية لمسلمى غرناطة فى ذلك العصر الذى كانوا يستشعرون فيه الخطر من زوال دولة

الإسلام فى الأندلس على المدى البعيد ، فكأنهم كانوا يشخصون بأبصارهم وأرواحهم إلى أيام « منصور » الأندلس الذى بلغت فيه دولة المسلمين من القوة السياسية والعسكرية ما لم تبلغه من قبل قط . كان شعب غرناطة فى ذلك الوقت أحوج ما يكون إلى تمثـل دروس ذلك التاريخ الأندلسى القديم وإلى استحضار فترات العظمة والقوة فيه . وكان عمـل المؤلفين فى تذكيرهم بتلك الدروس ضربا من استحثاث الهمم الفاترة واستنهاض العزائم الخائرة .

ويدلنا على ذلك أن المؤلف لم يستكثر من أخبـار الأندلس بعد انقضاء الدولة العامرية ، فهو لم يورد من عصر ملوك الطوائف والمرابطين إلا خمسة أخبار : اثنان منها متعلقان بالمتوكل بن الأفطس ملك بطليوس وحفيد المعتمد ابن عباد ملك اشبيلية ، والثلاثة الباقية تدور حول أمراء غرناطة الزيريين : زاوى بن زيرى مؤسس الدولة ، وابن أخيه حباسة بن ماكسن ، ثم باديس ابن حبوس ملك غرناطة ، وهى أخبار نستشف منها شجاعة هؤلاء الأمراء ذوى الأصل البربرى وأنفتهم وتمسكهم بحياة الجندية وصرامتهم المنتهية إلى حد القسوة والفظاظة ، ولا شك فى أن المؤلف حينما ذكر هؤلاء الأمراء البرابرة إنما اعتبر سير حيـاتهم جزءاً من تاريخ غرناطة « القومى » الذى ينبغى أن يكون ماثلا فى تأليف لأديب « غرناطى » مهدى إلى سلطان غرناطة فى أيامه . وكلامه عن هؤلاء وإن كان فيه إعجاب بما اتسموا به من بأس وشجاعة يخلو من المودة والحب .

وآخر العصور التى اتخذ ابن سماك منها مادة لبعض « زهراته » هو عصر الموحدين ، ونصيبه من الكتاب ثلاثة أخبـار واحد منها متعلق بابن سعيد الأندلسى وإن كان الخبر نفسه بعيداً عن بيئة الأندلس فهو فى وصف مجلس الوزير المصرى جمال الدين بن يغمور ، والخبر الثـانى متعلق بمحاورة بين

يعقوب المنصور الموحدي وأحد كتابه الأندلسيين ، والثالث متعلق بتلك الفصاحة الجعجاعة لأبي جعفر بن سعيد وهو يساق إلى الموت (١) .

ونلاحظ أن المؤلف لم يقدم لنا شيئاً من أخبار غرناطة فى عصره . ولعل فى ذلك شعوراً كامنا فى قرارة نفسه بأن عصره لم يعد عصر العبقريات الخلاقة التي حفلت بها عصور الأندلس الأولى ، أو لعله كان يريد أن يجنب نفسه التورط فى ذكر أخبار قد لا تقع موقع القبول من بعض قرائه .

٢ — من ناحية أخرى نلاحظ أن الكثرة الغالبة من أخبار الأندلس التي اقتطف لنا المؤلف بعض طُرَفها تدور حول محور الحرب والجهاد . وهذا أيضاً يتفق مع روح العصر الذى كانت حيـاة مسلمى الأندلس فيه رهينة بقدرتهم على حماية أنفسهم من ذلك الخطر الذى كان حصاره محدقاً بهم آخذاً بمخنقهم . وما أكثر ما نجد المؤلفين الأندلسيين فى القرن الثامن يلحون على هذه الحقيقة : فبلادهم هى الثغر الأقصى للاسلام ، وبقاء المسلمين فيها متوقف على استعدادهم للرباط والجهاد . ومؤلف الزهرات نفسه يصف وطنه فى تقديم كتابه بأنه « الجهادى » ، ولابن الخطيب أستاذ ابن سماك رسالة مشهورة نقلها المقرى يجعل فيها للجهاد على الحج مزية وفضيلة (٢) . ولهذا لم يكن من الغريب أن يضرب مؤلف « الزهرات » أمثلة كثيرة يتمدح فيها بالشجاعة ورباطة الجأش . نرى ذلك فيما ساقه عن الحكم الربضى والمنصور بن أبى عامر وقواده ، وفى قصص الشجاعة التى يورد منها ذلك الخبر الجديد المتعلق بالفارسين الصنهاجيين

---

(١) نود أن نشير عرضاً هنا إلى أن فى هذا الخبر الغريب حقاً (الزهرة ٦٤) ما يمثل طرفا من الاهتمامات الجمالية والفنية لكتاب الأندلس وبلغائها ، فقد كان يستحوذ على إعجابهم هذا الأديب الذى لم يكن له هم فى مثل هذا الموقف الرهيب إلا تصيد عدد كبير من الأسجاع يرتجلها ارتجالا ، وكأن ذلك السجع قد أصبح غاية وهدفا لجهد الأديب ، لا بأس فى أن يكد قريحته حتى تتمخض عنه وهو فى الرمق الأخير .

(٢) انظر المقرى : نفح الطيب ١ / ١٨٧ — ١٩٠

اللذين وقفا بعد هزيمة « عقبة البقر » يتنازعان مع اثنين من فرسان زناتة بإزاء قنطرة كانت سبيل الجميع للفرار من قرطبة ، والطلب مُجِدٌّ من القرطبيين على البربر جميعاً للايقاع بهم ، وكل فريق يأبى أن يكون البادىء بالمرور حتى لا تلحق به بعد ذلك مَعَرَّةُ السبق إلى الفرار . وما زال ذلك التنازع حتى حل المشكلة حبوس بن ماكسن الصنهاجى الذى قدر له بعد ذلك أن يملك غرناطة (الزهرة ٨٠) . كذلك نحس بهذا الاهتمام بشئون الحرب والجهاد مما يورده المؤلف حول المسائل الثلاث الكبرى التى كانت تشغل بال خلفاء بنى أمية فى الأندلس (الزهرة ٨٣) ، ومما يذكر أنه من بين تلك المسائل الثلاث اثنتين تتعلقان بشئون الحرب هما : قيادة الثغر الأعلى بسرقسطة ، ثم قيادة أسطول المرية . وغلبة التفكير فى أمور الحرب وتدبيرها هى التى أملت على ابن هذيل المؤلف المعاصر لابن سماك كتابين يفردهما لهذا الموضوع هما : تحفة الأنفس ، وحلية الفرسان .

٣ — نلاحظ أيضاً فى الكتاب — على قلة المادة الأندلسية فيه — تمدحا بالقومية الأندلسية واعتزازاً بها ، بل ونلمح فيه من طرف خفى إشارات إلى ما كان الأندلسيون يعتقدونه من فضيلة السبق لإخوانهم وجيرانهم أهل المغرب . لقد ظل الأندلسيون منذ أن دخل المرابطون بلادهم نجدة لهم واستنقاذاً للاسلام فى أرضهم يحسون بكثير من الغضاضة لخضوعهم لسلاطين المغرب على عهد المرابطين ثم الموحدين ، وعلى الرغم من أنهم كانوا يعترفون على مضض بفضل أهل المغرب عليهم فإنهم كانوا لا يكفون عن التمدح ببلادهم وبماضيها الحضارى على نحو لا يخلو من التعريض بجيرتهم من أهل المغرب كلما سنحت الفرصة لذلك . ونضرب مثلا لهذه النزعة بما كتبه الأدباء الأندلسيون عن المرابطين وما يشيع فى هذه الكتابات من رنة حزن وأسى حينما يتحدثون عن خلع يوسف بن تاشفين لملوك الطوائف على الرغم من اعترافهم بفساد حكم هؤلاء

الملوك ، أو بما سطره بعض مؤلفيهم فى باب المفاضلة بين العدوتين مثل رسالة الشقندى فى فضل الأندلس .

أما هذا العصر الذى كتب فيه ابن سماك وهو فترة حكم محمد الغنى بالله فقد رأينا كيف بدأ النفوذ المغربى فى الانحسار عن الأندلس بعد أن ظل ماثلا قوياً منذ قيام دولة بنى الأحمر ، وكان من أجلى مظاهر ذلك ما أشرنا إليه من إلغاء منصب « شيخ الغزاة » الذى كان دائماً قاعدة للتدخل المرينى فى شئون الأندلس ، بل رأينا الأوضاع لا تلبث أن تنعكس ، فتصبح غرناطة هى صاحبة الكلمة العليا فى المغرب . وقد أدى ذلك إلى بروز هذه العصبية الأندلسية وتوقد جذوتها من جديد ، نرى ذلك فى كثير من كتابات الأندلسيين خلال القرن الثامن مما تبدو فيه روح الاستطالة على المغاربة والتعريض بهم . حتى ابن الخطيب أستاذ ابن سماك — وهو الذى لجأ إلى المغرب فاراً من الأندلس — لم ير بأساً فى أن يكتب هناك مقامته « مفاخرات مالقة وسلا » ، وهو ينتهى فيها بطبيعة الحال إلى تفضيل المدينة الأندلسية على أختها المغربية فى أسلوب لا يخلو من النقد اللاذع والقسوة الجارحة (١) .

أما كتاب « الزهرات المنثورة » فلم يكن بدوره بدعاً فى ذلك الاعتداد بالقومية الأندلسية والتفاخر بتراثها الحضارى فى مختلف الميادين ، ولا فى تلك الوخزات التى تنطلق بين حين وحين من الأشواك الكامنة فى ثنايا زهراته موجهة للمغاربة . وإذا كان المؤلف يعترف فى بعض ما أورده من أخبار بشجاعة فرسان البرابرة وشدة بأسهم وأنفتهم من الفرار حتى بعد الهزيمة كما رأينا فى النص الذى أشرنا إليه من قبل (الزهرة ٨٠) ، أو باحتقارهم لحياة

---

(١) قام بنشر هذه المقامة الدكتور مختار العبادى فى كتابه « مشاهدات لسان الدين بن الخطيب فى بلاد المغرب والأندلس » ص ٥٧ — ٦٦ ؛ انظر كذلك تعليق الدكتور العبادى على هذه المفاخرة فى تقديمه لهذه المجموعة ص ١١ .

الدعة ولمناصب الوزارة (الزهرة ٨١) ، أو بهذه العدالة الصارمة القاسية من جانب باديس بن حبوس (الزهرة ٧١) — فإن حديثه لا يخلو من سخرية بأولئك المحاربين البربر وعدم تعودهم على النعمة لما جرت عليه حياتهم السابقة قبل وفودهم على الأندلس من شظف وضيق معيشة ، كما نرى فى أخبار المنصور بن أبى عامر مع بعض أولئك القواد من أمثال وانزمار بن أبى بكر البرزالى (الزهرة ٢٩) وأبى الناس بن صالح البربرى (الزهرة ٣٠) . ولا ينسى المؤلف فى هذين الخبرين التعريض ببكاءة أولئك القواد وقلة نصيبهم من الثقافة ، حتى إنهم ليخاطبون مولاهم المنصور بن أبى عامر « بكلام يضحك الثكلى » . وهذه من التهم القديمة التى طالما رددها الأندلسيون فى عصبيتهم الذميمة عن كثير من أمراء المغاربة ورجالاتهم ، مما نرى له مثلا فيما كتبه الشقندى عن يوسف بن تاشفين [1] . كذلك نجد من مظاهر هذا الاستعلاء الأندلسى فى الكتاب ما يذكره المؤلف فى معرض الكلام عن ثورة الربض (الزهرة ٧٥) من تمدح بفضل المهاجرين الربضيين على المغرب وعلى مدينة فاس ، إذ يقول : « وبهم عمرت تلك العدوة وكثر أهلها وتمدنت » . كذلك نشعر لديه برنة حزن وأسى فى حديثه عن الهزيمة التى أوقعها زاوى بن زيرى الصنهاجى بعبد الرحمن المرتضى وجنوده الأندلسيين تحت أسوار غرناطة (الزهرة ٩٥) وعن غلبة البربر على البلاد بعد ذلك فى مثل قوله : « وجرت بهذه الوقيعة على جماعة الأندلس مصيبة أنست ما قبلها . ولم يجتمع لهم جمع بعد ، وأقروا بالإدبار ، وباءوا بالصغار ، والأمر لله من قبل ومن بعد » [2] .

---

(١) رسالة الشقندى حسب ما نقله المقرى فى النفح ٣ / ١٩١

(٢) لا يهمنا فى هذا المقام إن كانت هذه العبارة وأمثالها من قول مؤلف « الزهرات » أو من قول المؤرخ الذى نقل عنه ، فالشاهد هنا هو مجرد إيرادها الذى لا يخلو من دلالة لها مغزاها .

ويلوح لنا أن ما فى مثل هذه العبارات من تعريض لم يأت بمحض الصدفة ، بل كان شيئاً مقصوداً . وحتى لو فرضنا أن شرط التعمد غير متوفر فلا يخلو الأمر من أن تكون تلك العبارات مما يجرى على ألسنة الأندلسيين مصورة إحساسهم الدفين المستقر فى وعيهم الباطن .

٤ — أما قيمة هذه المادة الأندلسية التى أوردها المؤلف لنا فى زهراته فهى متفاوتة ، والحقيقة هى أن كثيراً من هذه المادة كان معروفاً من قبل ، وهذا هو دائماً شأن الكتب التى لا يبدو جهد صانعيها إلا فى جمع مادتها واختيارها من مصادر سابقة . ولكن هناك أخباراً تعد جديدة حقا ، لا لأن المؤلف كان أكثر أصالة فيها منه فى غيرها ، وإنما لأنه نقلها عن مصادر تعد اليوم فى حكم المفقودة . ونذكر من هذه الأخبار تلك الحكاية التى يرويها حبوس بن ماكسن حول أنفة الفرسان البربر من الفرار ، وخبر ابن عياش البرشانى مع المنصور الموحدى وهو يقدم لنا صورة من المعاملة المتسامحة الكريمة التى كان يلقاها أهل الذمة ولا سيما اليهود من جانب الدولة الموحدية ، وخبر المناصب الثلاثة التى كانت شغل خلفاء بنى أمية الشاغل ، وخبر باديس بن حبوس مع ابن عمه الذى اغتصب امرأة أحد القرويين الغرناطيين وما أوقعه باديس به من عقوبة ، وبعض الأخبار الجديدة عن عبد الرحمن الناصر . هذا فضلا عن بعض التوقيعات الأندلسية النادرة .

وهناك أخبار كانت معروفة من قبل ، إلا أن مؤلف « الزهرات » أضاف إليها تفاصيل جديدة لها قيمتها وخطرها ، مثل الخبر المتعلق بالسكة فى الأندلس ، والخبر الخاص ببناء الثوار الربضيين لعدوة الأندلسيين فى فاس ، وما استطرد إليه من بناء فاس الأول على يد إدريس الأول بن عبد الله بن الحسن بن الحسن العلوى فى سنة ١٧٢ هـ. (٧٨٩ م.) . ففى هذا النص حسم للخلاف الطويل حول تاريخ بناء فاس القديمة ، وهل كان فى أيام إدريس الأول أو ابنه

إدريس الثانى ، ومثل ذلك النص الفريد الذى تضمن وصية الحكم بن هشام لابنه عبد الرحمن الأوسط ، وهو نص لا نجده فى أى مصدر قديم آخر ، اللهم إلا قطعة من كتاب « المقتبس » لابن حيان كانت فى حوزة ليفى بروفنسال ، وكان الأستاذ محمد عبد الله عنان قد اطلع عليها ونقل منها ، ويظهر أن تلك القطعة أصبحت الآن فى عداد الكتب المفقودة . والتشابه بين النصين يدل على أن مؤلف الزهرات قد رجع إلى مصادر قديمة موثوق بها .

وقد تبين لنا أن كثيراً من الأخبار الأندلسية التى أوردها ابن سماك حول أمراء الأندلس وخلفائها الأمويين والمنصور بن أبى عامر ثم ما يلى هذه الحقبة فى عصر الطوائف لابد أن تكون مما اعتمد فيه المؤلف على « التاريخ الكبير » لأبى مروان ابن حيان بشطريه « المقتبس » و « المتين » ، فروح أسلوب ابن حيان فى هذه الأخبار واضحة على نحو لا تخطئه العين ، هذا على الرغم من أنه لم ينص على مصادر النقل . ويدلنا هذا على أن كتب ابن حيان كانت حتى ذلك الوقت (النصف الثانى من القرن الثامن) كثيرة التداول فى أوساط المثقفين فى غرناطة .

٥ — على أن ذلك لا يعنى بالضرورة أن أخبار المؤلف الأندلسية كانت كلها على هذا المستوى من الصحة والضبط والتنزه عن الخطأ . ولن نحاسبه هنا على بعض الأخبار ذات الطابع الأسطورى مثل تلك المحاورات بين سليمان بن عبد الملك وموسى بن نصير ، فهذه الأخبار تنتمى إلى ذلك التراث الشعبى من الأساطير التى أصبحت هالة تحف باسم فاتح الأندلس العظيم أيان ذكر اسمه فى الشرق أو الغرب ، أو مثل ما نقله من حوار بين معاوية بن أبى سفيان وذلك المعمر الحضرمى « أمد بن أبد » (الذى يبدو الافتعال حتى فى اسمه) . وإنما نعنى بعض أخطائه فى التفاصيل التاريخية ، مثل قوله إن المسلمين ظلوا يحكمون إقريطش حتى فتح النصارى لبيت المقدس ، أو ذكره لعيسى بن دينار

بين تلاميذ مالك بن أنس الأندلسيين ، أو قوله فى الحديث عن هزيمة عبد الرحمن المرتضى على يد زاوى بن زيرى إن منذر بن يحيى التجيبى كان صاحب بلنسية ودانية وإن سليمان بن هود كان صاحب سرقسطة والثغر الأعلى . وقد علقنا على هذه الأخطاء فى مواضعها ، ورددناه فيها إلى ما رأينا أنه الصواب .

— ٨ —

ابن سماك صاحب « الزهرات »
هل هو مؤلف « الحلل الموشية » ؟

كنا قد ذكرنا فى مستهل هذا التقديم أن للصديقة الكريمة ماريا خيسوس روبييرا بحثاً عنوانه « حول من يحتمل أن يكون مؤلفا لكتاب الحلل الموشية » (١) وأن هذا البحث وثيق الصلة بكتاب « الزهرات المنثورة » وبمؤلفه ابن سماك . ونشرع الآن فى معالجة هذا الموضوع الذى عادت فيه الباحثة لإثارة مشكلة قديمة بقيت حتى الآن بغير حل ، وهى مشكلة نسبة كتاب « الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية » ، الذى ظل الباحثون حتى اليوم يعدونه لمؤلف مجهول .

وكتاب الحلل الموشية من المصادر التاريخية المهمة ، وهو تأريخ مفصل للدولة المرابطية ثم لصدر الدولة الموحدية حتى نهاية خلافة عبد المؤمن بن على ، ثم يتحول بعد ذلك إلى رواية شديدة الاختصار تستعرض دولة الموحدين حتى نهايتها ثم تقتصر بعد ذلك على سرد لأسماء سلاطين بنى مرين حتى أيام أبى تاشفين عبد الرحمن بن عمر ، وتقف عند سنة ٧٨٣ هـ. (١٣٨١ م.) ، وهى

---

(١) María Jesús Rubiera: Sur un possible auteur de la chronique intitulée Al-Hulal al-mawšiyya fī ḏikr al-ajbār al-marrākušiyya, en II Coloquio Hispano-Tunecino, pp. 143-146.

السنة التى فرغ فيها المؤلف من الكتاب . ومن هذا الكتاب مخطوطات عديدة أحصى منها مترجم الكتاب إلى الإسبانية الأستاذ أمبروسيو أويثى ميراندا عشرة وإن كان بعضها قد اختفى الآن (١) . وقد عرف المستشرقون الأوربيون هذا الكتاب وانتفعوا منه منذ زمن بعيد ، بل قام بترجمته إلى الإسبانية أحد الباحثين الإسبان خلال القرن الثامن عشر ، واستفاد من هذه الترجمة بل ونقل منها صفحات كثيرة المستشرق كوندى J. A. Conde فى تاريخه للحكم العربى فى اسبانيا الذى صدر فى مستهل القرن التاسع عشر . غير أن النص العربى لم ير النور لأول مرة إلا فى سنة ١٣٢٩ هـ . (١٩١٠) فى تونس (منسوباً على سبيل الخطأ إلى ابن الخطيب) ، ثم أعاد نشره الأستاذ علوش فى الرباط سنة ١٩٣٦ .

ومع أن الكتاب يعد مصدراً رئيسياً لا يستغنى عنه من يكتب عن المغرب أو الأندلس فى أيام الدولتين المرابطية والموحدية فإنه لم يطرح أحد بصفة جادة مسألة نسبة الكتاب ، واكتفى كل من انتفعوا منه بأن يذكروا أنه مجهول المؤلف . فالمخطوطات الكثيرة التى عثر عليها له لا تحمل اسم المؤلف . على أن المؤرخين المغاربة المحدثين يتفقون على نسبة الكتاب إلى أديب مالقى يدعى أبا عبد الله محمد بن أبي المعالى بن السماك العاملى وعلى أن هذا الأديب الأندلسى كان حيا فى أواخر القرن الثامن الهجرى (٢) . والتقط ليفي بروفنسال

---

(١) Ambrosio Huici Miranda: Al-Ḥulal al-mawšiyya, Crónica árabe de las dinastías Almorávide, Almohade y Benimerín, traducción española, Tetuán, 1951, p. 14.

(٢) انظر مقال الدكتور أحمد مختار العبادى : دراسة حول كتاب الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، مجلة تطوان ، العدد الخامس ١٩٦٠ ص ١٣٩ — ١٥٨ . وقد أورد الدكتور العبادى ثبتا بهؤلاء المؤلفين المغاربة الذين نسبوا الكتاب إلى « ابن السماك العاملى » (فى الأصل العامرى وهو تحريف) :

— سليمان الحوات : البدور الضاوية فى مناقب الزاوية (الدلائية) ، مخطوط بخزانة =

هذا الخبر فأشار إليه فى كتابه عن « مؤرخى الشرفا »(١) ، غير أن كل الباحثين المحدثين أعرضوا عن هذه النسبة ولم يولوها أى اهتمام .

على أن شخصية الأديب المالقى الذى يحمل ابن سماك قد استوقفت نظر بعض الباحثين ، وكان أولهم الأستاذ برونشفيج الذى نشر بحثاً طريفاً حول كتاب « الحلل » ، وحاول أن يتقصى فيه شخصية هذا الأديب ، إلا أنه لم يعرف إلا واحداً عاش فى القرن السادس الهجرى هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سماك وهو بطبيعة الحال لا يمكن أن يكون مؤلف الكتاب(٢) . هذا مع أن الأستاذ بوسك فيلا كان قد نشر قبل ذلك بحثاً وافياً حول أسرة بنى سماك انتهى فيه إلى شخصية محمد بن أبى العلاء بن سماك الذى كان كاتباً فى ديوان الإنشاء على أيام السلطان النصرى محمد الغنى بالله(٣) .

وظل الأمر كذلك حتى وقعت للباحثة الصديقة ماريا خيسوس روبييرا تلك النسخة الكاملة التى أشرنا إليها من مخطوط « الزهرات المنثورة » المحفوظة فى الخزانة العامة بالرباط وعليها اسم مؤلف الكتاب : « محمد بن أبى العلاء بن

= الرباط رقم D. ٢٦١ ورقة ١٨ .

— محمد بن عبد الله بن الموقت المسفيوى المراكشى : السعادة الأبدية فى التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية ، ٢ / ١٧٧ — ١٧٩ (ط. حجرية بفاس) .

— عباس بن ابراهيم المراكشى : الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام ، ١ / ٢٣ (ط. فاس ١٩٣٦) .

— عبد السلام بن سودة : دليل مؤرخ المغرب الأقصى (ط. تطوان ١٩٥١) ص٥٥ - ٥٦ . راجع مقال الدكتور العبادى المذكور ص ١٣٩ والحاشية ١ .

(١) Lévi-Provençal: Les Historiens des Chorfa, pp. 385-386, note 4, Paris 1922.

(٢) R. Brunschvig: Grenade et le Maroc Marinide, Arabic and Islamic Studies in honor of Hamilton A. R. Gibb, Leiden, 1965, pp. 147-155.

(٣) J. Bosch Vila: Los Banū Simmāk de Málaga y Granada, Miscelánea de Estudios Árabes y Hebraicos, XI, 1962, pp. 21-37.

وهو البحث الذى أشرنا إليه من قبل ونبهنا إلى أننا لم نتمكن من الاطلاع عليه والانتفاع منه (راجع ما سبق ص ٣ ، حاشية ٤) .

سماك » ، فعكفت على دراسة شخصية هذا المؤلف ، وتمكنت — فى جهد جدير بكل تقدير — من الكشف عن أنه هو نفسه الذى ترجم له ابن الخطيب فى « الكتيبة الكامنة » (ص ٢٩٩ — ٣٠١) وأنه لا بد أن يكون ابناً لذلك الكاتب الذى كشف عنه بوسك فيلا فى بحثه السابق ، وتلميذاً نجيباً من تلاميذ ابن الخطيب (١) .

وكان من توفيق هذه الباحثة أن عادت للربط بين اسم مؤلف « الزهرات » واسم ذلك المؤلف الذى اتفق كثير من مؤرخى المغرب على نسبة كتاب « الحلل الموشية » إليه ، وهو محمد بن أبى المعالى بن السماك (أو سماك) المالقى ، فرجحت أن الاسمين لشخص واحد ، أى أن مؤلف « الحلل » هو نفسه صاحب كتاب « الزهرات » ، وعرضت بعد ذلك الحجج التى استندت إليها فى هذا الترجيح :

١ — التشابه فى الاسم والنسب . ولا عبرة هنا بأن كنية والد مؤلف الزهرات « أبو العلاء » على حين أن كنية والد المؤلف الذى نسب « الحلل » إليه « أبو المعالى » ، فاللفظان مشتقان من أصل واحد ويمكن أن يخلط النساخ بينهما بسهولة .

٢ — أن كلا من الكتابين قد ألفه كاتب كان يعمل فى ديوان السلطان النصرى محمد الغنى بالله فى تاريخ لاحق لوفاة ابن الخطيب (سنة ٧٧٦/١٣٧٤) ، وينص كلاهما فى مقدمة كتابه على أن أسرته قديمة السابقة فى خدمة ملوك بنى الأحمر ، وهذا ينطبق تماماً على أسرة بنى سماك .

٣ — المقارنة بين الكتابين تكشف لنا عن اتفاق لا يمكن أن يكون بمحض الصدفة . فكتاب الزهرات موضوع بهدف سياسى هو تمجيد الدولة

---

(١) Mª. Jesús Rubiera, op. cit., pp. 144-145.

التى كان المؤلف يعمل فى خدمتها والإشادة بصاحب هذه الدولة (محمد الغنى بالله) ، وكتابه مزيج من الأخبار التاريخية والأساطير ، وهذا ما ينطبق أيضاً على كتاب « الحلل » .

٤ — الشخصيات التى يعرضها لنا كتاب « الزهرات » هى دائماً من الخلفاء أو الملوك أو الأمراء الذين عرفوا بخصالهم المحمودة من حكمة وعدالة وشجاعة وغير ذلك من الفضائل ، وكثير من حكايات الزهرات يدور حول شخصيات أندلسية عظيمة ، إلا أن للمغاربة فى هذه الحكايات نصيباً بارزاً ، وقد تعمد المؤلف أن يسبغ عليهم هالة من العظمة أيضاً ، وذلك تحقيقاً لهدف سياسى كان يسعى إليه السلطان النصرىِ محمد الغنى بالله خدمة لسياسته « الافريقية » . وهذا الهدف أيضاً هو الذى يكمن فى صفحات « الحلل » .

٥ — ويجمع بين الكتابين أيضاً خلوهما من الأخبار المتعلقة بتاريخ الدولة النصرية المعاصر ، بل ومن الأخبار الخاصة بالسلطان محمد الغني بالله نفسه ، مع أنه هو الذى طرز الكتابان باسمه . فالمؤلف سياسى بارع ، وهو لذلك يكتفى بذكر أخبار الماضى البعيد التى يأمن معها مغبة التورط فى قول شىء قد تعود عاقبته وخيمة فى الغد ، فهو يعرف مدى تقلب السياسة ، ويدرك بثاقب نظره ما كانت عليه دولة بنى الأحمر من ضعف وعدم استقرار ، ويقدر أن عدو الأمس قد يصبح سلطان الغد ، فهو لذلك يلتزم الحذر ، وإذا أراد أن يدعو لواحد من الطامعين فى عرش بنى مرين فلتكن دعوته فى رفق وأناة وتستر ، وليموه عنها بالحديث عن الأمجاد المغربية الماضية على أيام المرابطين والموحدين .

هذه هى الحجج التى ساقتها الباحثة ماريا خيسوس روبييرا فى ذكاء وقدرة على التأويل والاستنباط . على أننا بعد أن أتممنا تحقيق كتاب « الزهرات » وقمنا بدراسة مقارنة بينها وبين كتاب « الحلل » فى ضوء هذه الملاحظات

التى قدمتها لنا الباحثة الإسبانية رأينا أن المسألة قد تتطلب مزيداً من الدراسة ، وأظن أن إنعام النظر فى الكتابين سوف ينتهى إلى نتيجة تتفق مع ما وصلت إليه الدكتورة روبييرا ، وإن كانت لى تحفظات على بعض ما ساقته من حجج .

أما ما ذكرته من أمر التشابه فى الإسم والنسب ومن كون كلا المؤلفين منخرطا فى خدمة السلطان محمد الغنى بالله ، ومن الاتفاق فى تاريخ تأليف الكتابين فأعتقد أن كل ذلك مقنع تماماً ، وهو وحده يكفى لترجيح نسبة « الحلل » إلى نفس المؤلف الذى كتب « الزهرات » . وأما ما ذكرته الباحثة فى الفقرتين الرابعة والخامسة فهو مالا يسهل التسليم به . فقد رأينا من عرضنا للمادة الأندلسية فى الكتاب أن المؤلف فى تمجيده لخلفاء الأندلس وأمرائها وحكامها لا يسند مثل هذه المآثر للشخصيات المغربية ولا يحيطها بتلك الهالة من العظمة التى أرادت الباحثة أن ترى فيها تحقيقاً لهدف سياسى وخدمة لسياسة إفريقية كان محمد الغنى بالله يسعى لتنفيذها . بل إننا رأينا الكتاب تعبيراً واضحاً عن قومية أندلسية فيها كثير من الاستعلاء على المغاربة ، وقد رأينا فى بعض الحكايات التى يرويها ابن سماك تعريضاً خفيا بقادة البربر لا يخلو من التجريح والسخرية ، ولكنه يتلطف فى إيراد ذلك ويسوقه فى عفوية بريئة الظاهر وكأنه لم يقصد إليه قصداً . وقد حاولنا فى الصفحات السابقة أن نعلل لهذه الظاهرة ، وهى فى نظرنا ترجع إلى أن غرناطة محمد الغنى بالله خلال تلك السنوات التى ألف فيها كلا الكتابين : « الحلل » و « الزهرات » كانت تحس بقوتها إزاء بلاد المغرب وتدل بهذه القوة ، بل إننا نحس كأن هؤلاء الأدباء الغرناطيين المشتغلين بخدمة السلطان النصرى قد أسكرتهم خمر هذه العظمة التى كانت تشعلها دولتهم آنذاك بإزاء المغرب الذى كانت الفتن والحروب الأهلية قد مزقته ، فإذا بهذا الاعتداد القومى الذى اتسم به الأندلسيون دائماً يتحول إلى ضرب من الغرور .

ومن هنا فإنا نخالف الباحثة فى هذه الناحية ولا نعتقد أن فى الكتابين ما يشعر بخوف المؤلف أو حذره ، أو توجسه من إمكان انقلاب الدولة ، وإنما نرى فى خاتمتى الكتابين شعوراً طاغيا بالتفاؤل ، وتعبيراً عن هذا الشعور فى خفة ومرح : صاحب « الزهرات » يرى فى بلده أعظم بلاد الإسلام ويعد عصر سلطانه الغنى بالله « خير الأعصار » ، ومؤلف « الحلل » يرى أن الأندلس بفضل سلاطينها النصريين قد عادت إلى خير عصورها ولم تعدم منهم ناصرها ولا منصورها (١) .

ومع مخالفتنا للصديقة ماريا خيسوس روبييرا فى هذه الجزئية ، فإن ما ذكرناه هو فى النهاية تأييد لرأيها فى تأكيد التشابه الواضح بين كتابى « الزهرات » « الحلل الموشية » ، وهو تشابه يجعلنا أكثر اقتناعا بصحة هذا الرأى الذى يرجع إليها فضل طرحه ، وهو أن أبوة الكتابين يمكن أن تنسب لمؤلف واحد : هو محمد بن أبى العلاء محمد بن سماك العاملى .

وتبقى فى النهاية شبهة صغيرة ، هى أن كنية مؤلف الزهرات كما أوردها ابن الخطيب هى « أبو القاسم » ، على حين أن كنية المؤلف الذى نسب إليه « الحلل » هى « أبو عبد الله » . ولكن هذه الشبهة يمكن أن تتبدد إذا ذكرنا أن كثيراً من الأندلسيين كانوا يحملون أكثر من كنية . ونضرب لذلك مثلا بعالم مالقى أيضاً ذى شهرة واسعة هو السهيلى صاحب كتاب « الروض الأنف » فقد عرف بثلاث كنى فى وقت واحد : أبى القاسم وأبى زيد وأبى الحسن (٢) .

---

(١) قارن خاتمة كتاب الزهرات بخاتمة الحلل الموشية ص ١٥٨

(٢) انظر ترجمة السهيلى فى التكملة لابن الأبار ، رقم ١٦١٣ (ط. كوديرا) ، والديباج المذهب لابن فرحون ص ١٥١

— ٩ —

الزهرات المنثـــورة
ومن انتفع منه من المؤلفين المتأخرين :

لم يعرف هذا الكتاب من المؤلفين القدماء إلا المقرى الذى نقـل سبعاً من زهراته فى « نفح الطيب » كما أشرنا إلى ذلك من قبل . أما فى عصرنا الحاضر فإن المخطوطة الوحيدة المعروفة من الكتاب — قبل أن تكتشف النسخة الأخرى الكاملة فى الخزانة العامة بالرباط — كانت ملكا خاصا للمستشرق الفرنسى الأستاذ ليفي بروفنسال . ولهذا فقد كان هو الوحيد الذى استطاع أن ينتفع منه فيما نشر من أبحاث منذ سنة ١٩٣٢ . ونورد فيما يلى بياناً بالمواضع التى استفاد فيها الأستاذ بروفنسال فى مؤلفاته من هذا الكتاب :

١ — جاءت أول إشارة له إلى كتاب « الزهرات » فى كتابه « إسبانيا الإسلامية فى القرن العاشر L'Espagne Musulmane au X^ème Siècle. Institutions et Vie Sociale, Paris, 1932. (ص ٨٥ — ٨٦) فى معرض حديثه عن اهتمام أمراء بنى أمية وخلفائهم فى الأندلس بمنصب قاضى الجماعة . فقد انتفع فى هذا الموضع بمـا جاء فى الزهرة رقم ٨٣ حول شواغل الأمويين الثلاثة (وهى فضلا عن منصب قاضى الجماعة : قيادة الثغر الأعلى بسرقسطة وقيادة الأسطول بالمرية) .

كذلك انتفع بروفنسال فى نفس الكتاب من الزهرة رقم ٨٥ عند حديثه عن إنشاء دار السكة فى قرطبه على عهد عبد الرحمن بن الحكم « الأوسط » (انظر ص ٧٥) .

٢ — وعاد بروفنسال إلى الاستفادة من التفاصيل الواردة فى الزهرة رقم ٧٥ حول ثورة الربضيين فى مقاله عن بناء فاس واختلاف المؤرخين حوله . إذ اعتمد على ما جاء فى تلك الزهرة فى تحديد البناء الأول للعاصمة المغربية القديمة بتاريخ سنة ١٧٢ هـ . ، وذلك فى كتابه L'Islam d'Occident, Paris, 1948, pp. 1-41 (انظر المقال الأول من الترجمة العربية التى قام بها لهذا الكتاب الدكتور السيد عبد العزيز سالم والأستاذ محمد صلاح الدين حلمى ، القاهرة ١٩٥٨) .

٣ — وانتفع بروفنسال بعد ذلك من جديد بمادة هذا الكتاب فى تأريخه الكبير للأندلس حتى سقوط الخلافة . فقد أشار إلى جملة من أخبار المنصور ابن أبى عامر ذات الطابع القصصى مما أورده صاحب « الزهرات » ولا سيما ما نقله عنه المقرى فى النفح (انظر كتابه Hist. de l'Esp. Mus., II, 197) ونقل عنه بعض التفاصيل الجديدة التى أوردها المؤلف فى الزهرة رقم ٩٥ حول هزيمة المرتضى على يد زاوى بن زيرى (II, 331) ، وكذلك فى حديثه عن نظام قضاء الجماعة فى قرطبة ، إذ عاد إلى استخدام ما ورد فى الزهرة ٨٣ حول هذا المنصب . وذلك فى الجزء الخاص بالنظم من تاريخه (III, 136).

— ١٠ —

مخطوطتا « الزهرات »
ومنهجنا فى التحقيق :

ويبقى فى النهاية وصف المخطوطتين اللتين توفرتا لنا من كتاب « الزهرات » :

١ — الأولى ، وهى التى رمزنا لها بحرف ا فهى مخطوطة الخزانة العامة بالرباط ، وهى ضمن مجموع يضم معها بعض الرسائل الأخرى ، وتقع من هذا

المجموع بين صفحتى ١١٢ و ١٧٤ ، وهى مكتوبة بخط مغربى واضح يتميز بالجمال ويحيط بكل صفحة إطار تأنق الناسخ فى تسطيره .

وتشتمل الصفحة على واحد وعشرين سطراً ، وفى كل سطر نحو من عشر كلمات . وقد اتخذنا هذه النسخة أصلا لأنها أكمل من نسخة ليفى بروفنسال ، كما أنها فى الوقت نفسه جيدة عنى الناسخ بمقابلتها وضبطها . إلا أن النص ينقطع فيها قبل النهاية بنحو عشرة سطور .

٢ — الثانية وهى التى رمز لها بحرف ب ، وقد كانت ملكا للأستاذ ليفى بروفنسال ثم آلت إلى المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بعد وفاته فى سنة ١٩٥٦ ، والمخطوطة منتزعة بدورها من مجموع يضم بعض الرسائل الأخرى ، وتقع فى خمس عشرة ورقة من حجم متوسط (طول الورقة ٢٠ سم وعرضها ١٤ سم ، والمسطرة ١٧ × ١٢ سم ، وفى كل صفحة نحو ٢٠ سطراً فى المتوسط ، ويبلغ متوسط عدد الكلمات فى السطر ١٦ كلمة) .

وفى نهاية الكتاب تاريخ نسخه وهو أواخر ربيع النبوى سنة ست وسبعين وألف بعد الهجرة (١٠٧٦) (وهو يوافق أواخر سبتمبر أو أوائل أكتوبر سنة ١٦٦٥) .

والكتاب بخط مغربى قليل النصيب من الجمال والعناية ولكنه واضح بشكل عام ، كما أن الكتابة فى جملتها صحيحة وإن كان فيها بعض الأخطاء .

وعيب هذه النسخة كما ذكرنا هو أنه وقع فيها خرمان كبيران : الأول من آخر الزهرة ١٥ حتى أول الزهرة ٣١ ، والثانى من الزهرة ٤٢ حتى الزهرة ٧٣ . أى أن الذى ذهب من الكتاب أقل قليلا من نصفه .

ونضيف إلى ذلك أننا اتخذنا من الزهرات التى نقلها المقرى فى نفح الطيب أصلا آخر استأنسنا به فى المقابلة .

وقد كان عملنا فى تحقيق هذا النص يقوم على مقابلة الأصلين المخطوطين وتسجيل المفارقات بينهما مع اختيار القراءات الصحيحة ، وعندما استقام لنا النص عملنا على مراجعته على مقابلة أخباره بكل ما استطعنا الوصول إليه من المصادر المختلفة ، مع الترجمة لجميع الأعلام والأعلام الجغرافية وغير ذلك مما يقتضيه إخراج النص على خير صورة ممكنة .

ومن الله نستلهم الهداية وبه نستعين ؟

محمود على مكى

مصر الجديدة ، نوفمبر ١٩٧٨

[112] بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا[1] محمد وآله وصحبه[2] وسلم

— * —

الحمد لله ذى العظمة والكبرياء ، المالكِ لما ذَرَا فى الأرضِ والسماء ، الحيِّ القيوم المبدِئِ المعيدِ ، المنفردِ فى مُلْكِه بالحكم والتدبيرِ ، والمتعالِى عن اتخاذ الصاحبة والولد والنظيرِ ، فالأوهام تعجزُ عن تصويره ، [١ ب] والأذهان تكل عن التحديد ، الذى جعل هذه الأمة المحمديَّة خيرَ أمَّةٍ أُخرِجَتْ للناس ، وفضَّلها[3] على كثير من الأمم المختلفة الألسنة والأجناس ، بشهادتى[4] الرسالة والتوحيد .

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله الذى بعثه فى الأميين رسولا من أَنفُسِهم ، واصطفاه فى نخبة العرب من أَنْفَسِهِمْ ، وأنزل عليه مُحْكَمَ وحيه الكريم وقرآنه المجيد . وأمده بالملائكة المسومين فما خالفته فئة إلا كان غالِبها ، وزُوِيَتْ[5] له الأرض فرأى مشارقها ومغاربها ، وسيبلُغُ ملكُ أمته ما زُوِىَ له منها من الدانى والبعيد . به جَمَعَ الكلمةَ وكانت بِدَداً ، ونَسَخ الضَّلالة بالهدى ، وفرَّق بين المحالف والمخالف بالوعد والوعيد .

---

(١) فى ب : مولانا .
(٢) زيادة عن ا .
(٣) فى ب : وفضلهم .
(٤) فى ب : بشهادة .
(٥) فى ا : زويت .

والرضا عن آله وصحبه(١) الباذلين مُهَجَهُمْ فى قتال الطوائف الباغية [113] ، وجهاد الأمم العاتية ، ذات العدة والعديد . حتى انقادت الخلائق ، واستقامت الطرائق ، وطاع كل جبار عنيد . فما دَرَجُوا للدار الآخرة ، بما أسلفوه من الهِمَم الفاخرة ، إلا وقواعد الإيمانِ قد أقرُّوا قرارها على مبنًى وثيقِ التشييد .

والدعاءُ لهذا المقام العَلِيِّ الأسْمَى ، ذى المُلْكِ الأعز والسلطان الأحْمَى ، سليل الخلفاء الخَزْرَجِيِّين والملوك الصِّيد . بصلة العز [٢ ا] والظهور ، وصلاح كافة الأمور ، ودوام النصر والتأييد . وقرة العين فى الأهل والملك ، ومن ينتظم فى هذا السلك ، من ولد وحفيد(٢) .

أما بعد ؛ فإن فى الاطِّلاَع(٣) على أخبار المُتَقَدِّمين ، ومن سلف من خيار المسلمين لَمَسْلاةً للنفس(٤) ، واستجلابا لحصول(٥) الأُنْسِ ، لما يتخلَّلُ ذلك من نوادر الأخبار ، ويفيد من المواعظ والاعتبار ، ولما يشتمل عليه من ضروب الفوائد ، ويُوقِظُ إليه من الهداية إلى جميل السِّيَرِ وكريم المحامد ، لا سيما أخبار الملوك والأمراء ، والحجاب والوزراء ، فأخبارهم تَعْمُرُ مجالس الأشراف ، وللنفوس إلى تعرفها تَطَلُّعٌ واستشراف ، ولهممهم عنها سؤالات ومباحث ، واستشهاد بما جرت به الكوائِنُ والحوادث ، فسِيَرُ الكبارِ والأجواد ، يميل إلى تَعَرُّفِها كل فؤاد ، ويتشوف منها على تباين السجايا وتفاوت الهمم ، وتنبئ عما صدر من تصرف كثير من الأمم(٦) .

---

(١) فى ب : وصحبه .
(٢) « من ولد وحفيد » انفردت بها ا .
(٣) فى ب : للاطلاع .
(٤) « لمسلاة للنفس » انفردت بها ب .
(٥) فى ب : بالحصول .
(٦) « من الأمم » انفردت بها ا .

فَجَمَعْتُ فى هذا المرسوم من نُكتِ أخبارهم الغريبة ، ونوادرهم العجيبة ، وتوقيعاتهم المختصرة القريبة ، ما ربما يُسْتَحْسَنُ مسموعُه ، ويندر فى كل كتاب وقوعه ، أضفتُ كلَّ شكلٍ منها إلى شكله ، [114] وضَمَمْتُ الفرعَ إلى أصله ، ضَمَّنْتُه منها كل حكايةٍ لطيفة ، وحَلَّيْتُه بكل طريفة ، فاجتمع منها زهرات يانعة ، لفنون الأخبار جامعة ، بديعة الوضع مجنبة من الطول ، فيها استبصار لأرباب العقول ، [٢ ب] فَمُتَأَمِّلُهُ يشرف منه على روض دَوْحُهُ العلم والمعارف ، وزَهْرُهُ تَعَرُّفُ مناقبِ الأجوادِ وسِيَرِ الخلائف ، وثمرته الأنس الباعث للاهتداء بهَدْيِ السلف السالف .

ولما كان الفعل للجود يبرزه ، وجب أن يوسم(١) بسمة تختص به وتميِّزه ، فسميته بكتاب « الزهرات المنثورة ، فى نكت الأخبار المأثورة » ، اسم طابق لفظه(٢) معناه ، وزهر يُتشوَّفُ إلى جناه . بَلَغَت فى الإحصاء إلى مائة زهرة ، هي عنوان على غُرَرِ السِّيَرِ وطُرَّة .

وعلى أى حال كان ، فإنما يشرِّفه شرفُ من له جُمِعَ ، وإلى خزانته الشريفة رُفِع ، إمامِ الهدَى ، وغمامِ النَّدى ، وقامع العِدَى ، محيى العلم المنَقِّى لبضاعته ، المشرِّفِ لأهل صناعته ، ظلِّ الله وخليفةِ المَلِكِ الحقِّ ، حاملِ الكلِّ وكافلِ الخلقِ ، الذى لا إمام فى الأرض يعدله ، ولا خليفة لله على الناس سواه ، المباركُ وطنه الجهادىُّ مثواه ، ملجأ أهل هذه المِلَّة ، جدُّ الأمراء السعداء ووالد الملوك الجِلَّة ، والبدرُ الذى زَيَّن منهم أفق الملك بالنجوم والأهِلَّة ، الملكُ العادل ، الجوادُ الباذل ، الهمامُ الباسل ، العالم الكامل ، مولانا أمير المسلمين ، وعماد الدنيا والدين « الغنى بالله المنصورُ بِعَوْنِ الله أبو عبد الله » ابن موالينا الملوك المجاهدين ، والأئمة المهتدين ، أدام الله للمسلمين

---

(١) فى ا : يرسم .
(٢) فى ب : اسمه .

بركةَ أيامهم ، وأبقى عليهم بهجةَ مُقامهم ، ومتَّعهم بانفساح مدتهم ، ودوام [115] خلافتهم ، ولا قطع عنهم مألوفَ حلمهم ومعهود [١٣] رأْفتهم ، إنه ولىٌّ قريب ، سميع مجيب .

على أننى — وإن جئتُ بها فى معرض الاستطراف (١) ، وانتخبتُها من محاسن الأجواد وسِيَرِ الأشراف — فمجلسه العلىّ الشريف لا تورد عليه غريبة ولا نادرة ، إلا وهى موجودة فيه وحاضرة ، وبِسِيَرِهِ الجميلة ومناقبه الحميدة تسير الأجواد ، ودون مداه تقف الملوكُ الأمجاد ، وعنده — خلَّدَ الله ملكه — بكل فنٍّ جميل علم ومعرفة ، وكمالُهُ الملوكِىُّ يجلُّ عن النعت والصفة ، وأوصافُ البلغاء فى تقرير محاسنه وتعداد مفاخره غير موفيةٍ ولا منصفة ، جعل الله أيامه السعيدة تُنْسِى أيام الأوائل ، وأبقى للاسلام مدته التى هى مواقيت المحاسن وتاريخ الفضائل ، بمنِّه وكرمه .

وهذا حينُ الابتداء بالزهرات ، وتسطير الأخبارِ المتخيرات ، والله ولى الإعانةِ والتوفيق ، والهادى إلى سواء الطريق .

الزهرة الأولى :

روى أنه لما كَثُرَتِ الحكمة اختصرها الحكماء الأولون فى أربعمائة ألف كلمة ، ثم جاء جيل بعدهم وهو الجيل الثانى منهم فاختصروها فى أربعة آلاف كلمة جامعة لمعانى الأربعمائة ألف كلمة ، ثم جاء مَن بعدَهم فردوها إلى أربعمائة جامعة أيضاً لمعانى أربعة آلاف كلمة (٢) ، ثم جاء الإسلام فردوها إلى أربعين كلمة جامعة لمعانى أربعمائة ، ثم جاء من بعدهم فردوها إلى أربع كلماتٍ فيها

(١) فى ا : الاستعطاف ، وفى ! : الاستظراف ، وهو محرف عما أثبتنا .
(٢) فى ا : أربعمائة آلاف ، والسياق يقتضى ما جاء فى ب .

معانى الأربعين ، فقالوا : أَطِع الله على قَدْرِ حاجتك إليه ، واعْصِهِ على قدر طاقتِك على عذابه ، واطلُبِ الدنيا [٣ ب] على قدر مَكْثِك [116] فيها ، واطلب الآخرة بقدر بقائك فيها . ثم اختاروا أربع كلمات من أربعة[١] كتب : من التوراة : من قَنِع شبع ، ومن الإنجيل : من اعتدل نجا ، ومن الزبور : من سكت سَلِم ، ومن القرآن : ﴿ ومن يعتصم بالله فقد هُدِىَ إلى صراطٍ مستقيم[٢] ﴾ .

الزهرة الثانية :

جلس أنو شروان يوما للحكماء ليأخذ من آدابهم ، فقال لهم وقد أخذوا مراتبهم من مجلسه : دُلُّونِى على حكمةٍ فيها منفعةٌ لخاصَّةِ نفسى وعامَّةِ رعيتى . فقال له بُزُرْجُمِهْر[٣] : أيها الملك ، أنا أجمع لك ذلك فى اثنتى عشرة كلمة . قال : هات . ما هُنَّ ؟ فقال : الأولى ، تقوى الله فى الشهوة والغضب والهوى فاجْعَلْ ما عرض من ذلك كله لله لا للناس ؛ والثانية ، الصِّدْقُ فى القول والوفاء بالعِدَاتِ والشروط والعهود والمواثيق ؛ والثالثة ، مشورةُ العلماء فيما يحدث من الأمور ؛ والرابعة ، إِكْرَامُ العلماء والأشرافِ وأهلِ الثغور والقوَّادِ والكتاب والخوَلِ ؛ والخامسة ، التَّعَهُّد للقضاة والفحصُ عن العمال محاسبةً عادلةً ومجازاة المحسنِ منهم بإحسانه والمسىء على إساءته ؛ والسادسة ، تعاهُدُ أهل السُّجونِ

---

(١) فى ب : أربع .
(٢) القرآن الكريم ، سورة آل عمران آية رقم ١٠١
(٣) بزرجمهر بن البختكان الحكيم الفارسى ، كان وزير كسرى أبرويز المتوفى على ما يقول النويرى سنة اثنتين وثلاثين قبل الهجرة (٥٩٠ م .) ، وقد أضاف النويرى أن بزرجمهر كان وزيراً لكسرى أنوشروان وأن كسرى هذا هو الذى قتله . وهناك كثير من أقواله وحكمه وأخباره فى « عيون الأخبار » لابن قتيبة ، والعقد الفريد لابن عبد ربه والبيان والتبيين للجاحظ (راجع فهارس هذه الكتب وانظر كذلك النويرى : نهاية الأرب ١٥ / ٢٢٨ — ٢٢٩) .

بالعرض لهم فى الأيام فيُستَوْثقُ من المُسِىء ويُطلَقُ البرىء ؛ والسابعة ، تعاهُدُ سُبُلِ الناس وأسواقهم وأسعارِهم وتجارهم ؛ والثامنة ، حسنُ تأديب الرعية على الجرائم وإقامة الحدود ؛ والتاسعة ، إعدادُ السِّلاح وجمعُ آلاتِ الحروب ؛ والعاشرة ، إكرامُ الوَلَدِ والأهل والأقارب وتفَقُّدُ مصالِحهم ؛ والحادية عشرة ، إذْكاء [١٤ ا] العيون فى الثُّغُور لعلم ما يُتخَوَّفُ فتؤخذ أُهبته قبل هجومه ؛ والثانية عشرة ، تفقد الوزراء والخول والاستبدالُ لذى الغِشِّ منهم . فأمر أنوشروان أن يكتب هذا بالذهب [117] ، وقال : هذا كلام فيه جميع أنواع السياسة الملوكية (١) !

الزهرة الثالثة :

قال أَنوشِرْوَان : الناسُ ثلاثُ طبقاتٍ تسوسهم ثلاثُ سياسات : طبقةٌ من خاصة الأحرار تُساسُ باللطف واللِّين والإحسان (٢) ، وطبقةٌ من خاصة الأشرار تساسُ بالغِلظة والعُنف والشِّدَّة ، وطبقة من العامة تساس بالغلظة واللين لئلاَّ تُحرجَهم الشدةُ ويبطرهم اللين (٣)

الزهرة الرابعة :

قال بعض الحكماء : إن السلطانَ لا يقرِّبُ الناس لقرْب آبائهم ولا يُبْعِدُهم لبُعْدِهم ، ولكن ينظر إلى ما عند كل واحدٍ منهم ، فيقرِّبُ البعيد لنفعه

---

(١) ورد نص هذه الزهرة بحروفه تقريباً فى كتاب أبى الحسن على بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلسى : « عين الأدب والسياسة ، وزين الحسب والرياسة » ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٣٥٧ / ١٩٣٨ ص ١٣٠ — ١٣١

(٢) فى ب : بالعطف واللين .

(٣) ورد أيضاً هذا النص فى كتاب ابن هذيل المذكور ص ٦٨

ويبعدُ القريبَ لضُرِّه ، وشبهوا ذلك بالجُرَذِ الذى هو فى البيت مجاوِرٌ ، فمن أجل ضُرِّه نفى ، والبازِىِّ وهو وحشى ، من أجل نفعه اجْتُبِى .

الزهرة الخامسة :

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ينبغى للوالى أن يكون فيه من الشدة ما يكون ضربُ الرقابِ عنده فى الحقِّ كقتل عُصفور ، ويكونَ فيه من الرقة والحنوِّ والرحمةِ ما يُجْزِعُ من قَتْلِ عصفورٍ بغير حق .

الزهرة السادسة :

قيل لبعض الملوكِ وقد بلغ غايةً لم يبغلْها غيره من الملوك : بِمَ بلغتَ هذه الغايةَ ؟ فقال : بعفوى عند قدرتى وبِلِينِى بعد شدتى ، وببذلى الإنصاف ولَوْ من نفسى ، وبإبقائي فى الحبِّ والبغض مكاناً لموضع الاستبراء (١) .

الزهرة السابعة :

كان عمرُ بن عبد العزيز رضى الله عنه يقول (٢) : الأمورُ ثلاثةٌ : فما فيه رُشْدٌ [118] أتيناه ، وما فيه إثمٌ تركناه ، [٤ ب] وما فيه شبهةٌ وشكٌّ رجعنا فيه إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ورَدَدْناه إليه وإلى

---

(١) الاستبراء فى المصطلح الفقهى هو ألا يطأ المرء جارية يشتريها إلا بعد أن يتربص بها حتى يتم طهرها ، فكأنه يطلب براءتها من الحمل ، فلعل اللفظ هنا مستخدم مجازاً بمعنى أن يترك مكانا لمراجعة الرأى وطلب البراءة .

(٢) من الأقوال التى أوردها ابن عبد ربه منسوبة إلى عمر بن عبد العزيز قول شبيه بما ورد هنا فى معناه وإن اختلفت ألفاظه (العقد الفريد ٤ / ٤٣٦) .

رسوله صلى الله عليه وسلم ، كما ذكر فى كتابه العزيز حيث قال : « فإنْ تنازَعْتُمْ فى شىءٍ فرُدُّوهُ إلى الله والرسول[١] » .

الزهرة الثامنة :

توقف الخليفة أبو جعفر المنصور أياماً عن الخروج إلى الناس ، فقالوا : هو عليلٌ ، فكثَّروا القول ، فدخل عليه وزيره الربيعُ[٢] فقال : يا أمير المؤمنين ، أدام الله لك فى البقاء ، إن الناس يقولون . قال : وما يقولون ؟ قال : يقولون[٣] إن أمير المؤمنين عَلِيلٌ . فأطْرَقَ مَلِيّاً ثم قال : يا ربيع ، ما لنا وللعامة ؟ إنما تحتاج العامة إلى ثلاثِ خلالٍ[٤] ، فإذا فُعِلَتْ لهم فما حاجَتُهُمْ : إذا أقيم لهم من ينظر فى أحكامهم ، وينصفُ بعضهم من بعضٍ ، وإذا أَمِنَتْ سبلهم حتى لا يلحقهم خوف فى ليل ولا نهار ، وإذا سُدَّتْ ثغورُهم وأطرافُهم حتى لا يصل إليهم عدوُّهم ، ونحن قد فعلنا ذلك كلَّه لهم ، فما حاجتهم إلينا ؟ .

الزهرة التاسعة :

كان يحيى بن خالد بن بَرْمَك[٥] لا يجلسُ الناسُ فى داره إلا بين يديه ،

---

(١) سورة النساء آية رقم ٥٩ وفى ب : « إلى الله وإلى الرسول » .

(٢) أبو الفضل الربيع بن يونس حاجب أبي جعفر المنصور ووزيره وحاجب ابنه المهدى . توفى سنة ١٧٠ (٧٨٦/٧٨٧) . انظر فى ترجمته تاريخ بغداد للخطيب البغدادى رقم ٤٥٢١ ، ٨/٤١٤ والجهشيارى : الوزراء والكتاب (الفهرس) ووفيات الأعيان لابن خلكان ٢/٢٩٤ - ٢٩٩

(٣) فى ب : يقول .

(٤) فى ا : خصال .

(٥) يحي بن خالد البرمكى معلم هارون الرشيد ومربيه وصاحب خاتمه وهو والد الوزيرين المشهورين جعفر والفضل . توفي سنة ١٩٠ (٨٠٦) بعد نكبة الرشيد لأهل بيته عن سبعين ═

فإن جلس أُدخِل الناسُ وإلا صُرِفوا من الباب ، وكان يقول[١] : على الناس أداء فروض وقضاء حقوق ، والانتظار يَمْحَقُ[٢] زمانهم ويُكْثِر تعبهم .

الزهرة العاشرة :

قال المنصور يوماً : ما كان أَحْوَجَنِي أن يكون على بابى أربعةُ نَفَرٍ ثقاتٌ نصحاء ! قيـل : يا أمير المؤمنين ، من هم ؟ قال : هم أركانُ الملكِ ولا يصلحُ الملكُ إلا بهم كما أن السرير لا يصلح إلا بأربعة قوائم ، فإن نقص منها واحد وَهِيَ[٣] : أما أحدُهم فقاضٍ لا تأخذه فى الله لومةُ لائم ، وأما الثانى فصاحب شرطةٍ [119] ينصف الضعيف من القوىِّ ، وأما الثالث فصاحب حرسٍ يستقصى لى ولا يظلم [١٥] الرعيَّة ، وأما الرابع — فَعَضَّ على سبَّابته أربع مرات يقول فى كل مرة آهِ آهِ ! — قيـل له : من هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : صاحبُ بريدٍ يكتب إلَيَّ بخبرِ هؤلاء وتصرُّفِهم على الصِّحة .

الزهرة الحادية عشرة :

ذكر أن ملكا من ملوك الهند نزل به صمم ، فأصبح مُتوجِّعاً مهمّا بأمورِ المتظلِّمين وأنه لا يسمع استغاثتهم ، فأمر منادِيَه ألا يلبس أحد فى مملكته

= سنة . انظر ترجمته فى تاريخ بغداد رقم ٧٤٥٩ ، ١٤ / ١٢٨ — ١٣٣ ، وجملة من أخباره فى الوزراء والكتاب للجهشيارى ص ١٧٧ — ٢٦١ ، والعقد الفريد لابن عبد ربه ٥ / ٣٣٨ — ٣٥٠ ، وانظر كذلك خير الدين الزركلى : الأعلام ٩ / ١٧٥ — ١٧٦

(١) « يقول » ناقصة فى ب .

(٢) المحق هو النقصان وذهاب البركة .

(٣) فى ب : وهوى .

ثوباً أحمر إلا مظلومٌ وقال : لئن مُنِعتُ سمعى لم أُمنع بصرى ، فكان كلُّ مظلومٍ لبس ثوباً أحمر ووقف تحت قصره يكشف عن ظُلامته (١) .

الزهرة الثانية عشرة :

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ليت شعرى متى أَشْفِى غيظى : أحين أقدرُ فيقال ألا غَفَرْتَ ، أو (٢) حين أعجز فيقال ألا صَبَرْتَ ؟ (٣) .

الزهرة الثالثة عشرة :

لما أنفذ أبو بكر الصديق رضى الله عنه الأمراء إلى الشام كان مما أوصى به يزيد بن أبى سفيان (٤) وهو مُشَيِّعٌ له : إذا قدِمْتَ على أهل عملك فَعِدْهُمُ الخير اذا (٥) وَعَدْتَ ، وإذا وعدت فأنجز ، ولا تكثرنَّ عليهم الكلام فإن بعضه يُنسى بعضاً ، وأصلح نفسك يصلُح الناسُ ، وإذا قدمَ عليك رُسُلُ

---

(١) ورد هذا الخبر فى ثنايا حديث طويل وقع لأبى جعفر المنصور مع رجل من أهل مكة ونقله الزبير بن بكار فى كتابه « الأخبار الموفقيات » ، تحقيق الدكتور سامى مكى العانى ، بغداد ١٩٧٢ — ص ٣٩٦ ، وانظر مثله أيضاً فى ابن قتيبة : عيون الأخبار ٢ / ٣٣٣ ، والمحاسن والمساوئ للبيهقى ص ٣٤٠ — ٣٤١ (بيروت ١٩٦٠) . على أن الزبير بن بكار وغيره ينسبون الحكاية إلى ملك من ملوك الصين .

(٢) فى ب : أحين .

(٣) وردت هذه العبارة بنص ألفاظها تقريباً فى عيون الأخبار لابن قتيبة (١/ ٢٩٠) إلا أن المؤلف نسبها إلى عمر بن عبد العزيز لا عمر بن الخطاب .

(٤) يزيد بن أبى سفيان بن حرب بن أمية كانت له صحبة للرسول (صلعم) . وجرده أبو بكر (رضه) فى سنة ١١ هـ (٦٣٣) قائداً على إحدى السرايا الثلاث على الشام فأحرز واحداً من أول الانتصارات على جيوش الروم . ولما توفى أمير جيش الشام أبو عبيدة بن الجراح (رضه) كتب عمر بن الخطاب إلى يزيد بولاية الشام ، فظل واليا عليها حتى وفاته . ثم خلفه عليها أخوه معاوية أول خلفاء الدولة الأموية .

(٥) « إذا وعدت » ناقصة فى ا ، وقد استكملناها من ب .

عدوِّك فأكرم نُزُلَهُمْ فإنه أولُ خيرِكَ لهم ، وأقلل حَبْسَهُمْ حتى يخرجوا وهم جاهلون بما عندك ، وامنع من قِبَلك من محادثتهم ، وكنْ أنت تَلِي كلامَهُم ، ولا تجعل سرَّكَ مع علانيتك ، فيمرُجَ (١) أمرُك ، وإذا استشرتَ فاصدُقِ الخبر تصدُقِ المشورة ، ولا تكتم المستشار فتُؤتَى من قِبَلَ نفسك ، وإذا بَلَغَتْكَ عن العدوِّ [120] عَوْرة فاكتمها حتى توافيها ، واستر فى عسكرك الأخبار ، وأَذْكِ (٢) عيون حراسك وأكثر مفاجأتهم فى ليلك ونهارك ، واصدُقِ اللقاء إذا لقيتَ ، ولا تجبُنْ فيجبُنَ سواك (٣) .

[٥ ب] الزهرة الرابعة عشرة :

لما توجه عمرو بن العاص رضى الله عنه إلى فتح مصر والإسكندرية أمَّرهُ عمر بن الخطاب رضى الله عنه على أربعة آلاف ، على كل ألفٍ منهم رجل يقوم مقام ألف (٤) : الزبير بن العوام (٥) رضى الله عنه ، والمقدادُ بن عمرو (٦) ، وعُبادة بن الصامت (٧) ومَسْلمة بن مُخَلَّد (٨) .

(١) أى يختلط ويتشتت .
(٢) أى انشر .
(٣) ورد فى العقد الفريد لابن عبد ربه (١/١٢٩) خبر وصية أبى بكر (رضه) ليزيد بن أبى سفيان حينما وجهه إلى الشام وهو مشيع له راجلا بألفاظ تختلف عما ورد هنا .
(٤) ورد مثل هذا الخبر أيضاً في حسن المحاضرة للسيوطى مع ذكر هذه الأسماء نفسها (١/١٠٨) ، وتكررت الإشارة إليه فى نفس المصدر (١/١٢٠) .
(٥) أبو عبد الله الزبير بن العوام بن خويلد الأسدى . من الصحابه المعروفين ، شهد فتح مصر واختط بها ولأهل مصر عنه حديث واحد ، قتل راجعاً من وقعة الجمل بوادى السباع فى سنة ٣٦ (٦٥٦) انظر السيوطى : حسن المحاضرة ١ / ١٩٩
(٦) المقداد بن عمرو الكندى ، صحابى شهد بدراً وأحداً وسائر المشاهد ، وشهد فتح فارس ومصر وإفريقية أيضاً . مات بالمدينة سنة ٣٣ (٦٥٤) . انظر حسن المحاضرة ١ / ٢٣٨ — ٢٣٩
(٧) أبو الوليد عبادة بن الصامت الأنصارى الخزرجى . كان أحد النقباء ، وشهد بدراً وسائر المشاهد ، حدث عنه أهل مصر بنحو عشرة أحاديث ، ومات بفلسطين سنة ٣٤ (٦٥٥) فى ولاية معاوية . حسن المحاضرة ١ / ٢١١
(٨) أبو معمر مسلمة بن مخلد الأنصارى . ولد عام الهجرة ، وولى إمرة مصر زمن معاوية ، واختلف فى مكان وفاته بين مصر والاسكندرية والمدينة ، وتوفى سنة ٦٢ (٦٨٢) . حسن المحاضرة ١ / ٢٣٥ — ٢٣٦

كتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنهما يخبره بالفتح :
أما بعد ؛ فإنى فتحت مدينـةً لا أقدر على وصفٍ ما فيها ، غير أنى أَصَبْتُ بها أربعة آلاف مُنْيَةً ، بأربعة آلاف حمام ، وأربعين ألف يهودىّ عليهم الجزية ، وأربعمائة ملاك الملوك ، والسلام [١] .

الزهرة الخامسة عشرة :

كتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنهما بخبر نِيلِ مصر [٢] وذلك أن أهل مصر أَتَوْهُ فقالوا : أيها الأمير ، إن لنيلنا هذا سُنَّةً لا يجرى إلا بها . فقال لهم : وما ذاك ؟ قالوا : إنه إذا كان لِثِنْتَيْ عشرة من هذا الشهر شهرِ يونية [٣] عمدنا إلى جاريةٍ بِكْرٍ بين أبويها [٤] فأرضينا أبوَيْها ، وجعلنا عليها من الحُلِىِّ والثياب أحسن ما يكون ، ثم ألقيناها فى هذا النيل . فقال لهم عمرو بن العاص : إن هذا لا يكونُ فى الإسلام ، وإن الإسلام يهدم ما قبله . فأقاموا ثلاثة أشهر [٥] لا يجرى قليلا ولا كثيراً حتى هَمُّوا بالجلاء ؛ فلما رأى ذلك عمرو بن العاص كتب إلى عمر بن الخطاب بذلك ، فكتب إليه عمر رضى الله عنه : قد أصبت ، إن الإسلام يهدمُ ما

---

(١) وردت هذه الرسالة أيضاً فى ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٨٢ ، وفى السيوطى : حسن المحاضرة ١ / ١٢١ — ١٢٢

(٢) ورد هذا الخبر كله فى النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى (١ / ٣٥ — ٣٦) مع اختلافات طفيفة .

(٣) فى النجوم الزاهرة « بؤونة » بدلا من « يونيه » ، وعلى كل حال فإن هذا الشهر القبطى يوافق حزيران (يونية) من الشهور المسيحية التى كان استخدام تقويمها شائعاً فى الأندلس .

(٤) « بين أبويها » ناقصة فى ب .

(٥) حددها ابن تغرى بردى بالشهور القبطية : بؤونة (= حزيران = يونيه) وأبيب (= تموز = يوليه) ومسرى (= آب = أغسطس) .

قبله ، وقد بعثتُ إليك ببطاقة ، فألْقِها فى داخل النيل إذا أتاك كتابى . فلما وصل الكتاب إلى [121] عمرو بن العاص فتح البطاقة فإذا فيها : « من عبد الله أمير المؤمنين إلى نيلِ مصرَ . أما بعد ، فإن كنت تجرى من قِبَلِكَ فلا تجر ، وإن كان الله(١) الواحد القهار هو الذى يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يُجرِيَك » .

فألقى عمرو بن العاص البطاقة فى النيل ، وجرى بإذن الله . وانقطعت تلك العادة عن أهل مصر .

الزهرة السادسة عشرة :

خرج عمر بنُ الخطاب رضى الله عنه ذات يوم من منزله ، فلقيه حُذَيفَةُ بن اليمان(٢) رضى الله عنه ، فقال له : كيف أصبحت ياحذيفة ؟ قال أصبحت أُحبُّ الفتنة ، وأكره الحق ، وأقول بما لم يُخْلَقْ ، وأشهد بما لم أر ، وأصلِّى بلا وضوء ، ولى فى الأرض ما ليس لله فى السماء . فغضب عمر رضى الله عنه غضباً شديداً ، وهَمَّ به ثم ذكر صحبته للنبى صلى الله عليه وسلم ومكانه منه ، فكَفَّ عنه .

فبينما هو كذلك إذ أقبل علىٌّ رضى الله عنه ، فرأى الغَضَبَ فى وجهه ، فقال : ما أغضبك يا أمير المؤمنين ؟ فقصَّ عليه القصة . فقال : لا يُغضِبك

---

(١) ينقطع النص فى ب بعد لفظ الجلالة . ويبدأ الخرم الذى ذهبت فيه بقية هذه الزهرة (١٥) ثم ما يليها حتى الحادية والثلاثين . ولهذا فان اعتمادنا سوف يكون فى هذه الزهرات على نسخة ا بصفتها أصلا وحيداً .

(٢) حذيفة بن اليمان العبسى من كبار الصحابة . ولد بالمدينة ، وكان له بلاء فى مشاهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) وروى الكثير عن النبي وعن عمر . واستعمله عمر على المدائن فلم يزل بها حتى مات بعد مقتل عثمان رضي الله عنه وبعد بيعة الامام علي بأربعين يوماً فى سنة ٣٦ . راجع فى ترجمته الاصابة لابن حجر رقم ١٦٤٩ — ٢ / ٤٤ — ٤٥ .

الله ! أما قوله « أُحِبُّ الفتنة » فصَدَقَ ، قال الله تبارك وتعالى : « إنَّما أَمْوالُكُمْ وأولادُكُمْ فِتْنَةٌ (١) » ؛ وأما قوله « أكره الحقَّ » فإنه يكره الموت ؛ وأما قوله « أقول بما لم يُخْلَق » فإنه يتلو القرآن ؛ وأما قوله « أشهدُ بما لم أَرَ » فإنه يشهد أن لا إله إلا الله ؛ وأما قوله « أصلى بلا وضوء » فإنه يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ؛ وأما قوله إن « له فى الأرض ما ليس لله فى السماء » [فقد] صدق : له فى الأرض زوجةٌ وبنون .

فقال عمر : للهِ دَرُّكَ يا أبا الحسن ! لقد كشفْتَ عنِّى أمراً عظيماً (٢) .

الزهرة السابعة عشرة :

قَدِمَ أعرابِىٌّ على عليٍّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، [122] لى إليك حاجة ، والحياء يمنعنى أن أذكرها لك . قال : يا أعرابىُّ ، خُطَّها فى الأرض . فخطَّ : إنى فقير . فقال لغلامه : اكسُهُ حُلَّةً . فكساه إياها . فأنشأ الأعرابى يقول : [من البسيط]

كَسَوْتَنِى حُلَّةً تَبْلَى محاسِنُها ... فسوفَ أكسوكَ من حُسْنِ الثَّنا حُلَلاَ
إن نِلتَ حُسْنَ ثنائِى نلتَ مَكْرُمَةً ... ولستَ تبغِى بما قد نِلْتَهُ بَدلاَ
إنَّ الثناءَ لَيُحْيِى ذِكْرَ صاحبِهِ ... كالغيثِ يُحيِى نداهُ السَّهْلَ والجبَلاَ

---

(١) سورة التغابن ، الآية ١٥ .

(٢) ما ورد فى هذه الزهرة حول تفسير علي بن أبي طالب لعمر ما أشكل عليه من نوع المناقب التى جرى الشيعة على نسبتها للامام علي رضى الله عنه ، وهى أخبار يتضح فيها الوضع والصنعة . ونحن نرى الخبر الوارد هنا فعلا فى كتب الشيعة مثل كتاب الشيخ محمد تقي التسترى : قضاء أمير المؤمنين علي بن أبى طالب ، الطبعة الخامسة عشرة ، بيروت (بغير تاريخ) ص ١٠٩ — ١١٠ . والخبر هناك منقول عن مناقب الامام علي للكنجى وتنتهى الرواية فيه إلى سعيد بن المسيب .

فقال عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه : زِدهُ مائة دينـار . فأعطاه إياها . فلما وَلّى الأعرابي قال له غلامه : لو دفعتها فى المسلمين لأصلحتَ بها من شأنهم ! فقال : مَهْ ، لا تفعلْ ، فإني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : تَشَكَّرُوا لمَنْ أَثْنَى عليكم ، وإذا أتاكم كريمُ قومٍ فأكرِمُوه .

الزهرة الثامنة عشرة :

وَفَدَ قومٌ من قريش على معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه . فقالوا : السلام عليك يا معاوية . فبَسَطَ لهم وجهه ، وألانَ قوله . فطلبوا الموادعة . فقال : يا وجوه قريشٍ . ما لكم أتيتم من مكان بعيد ، ثم لم تجعلوا بين السلام وبين الموادعة حاجة تطلبونها ؟ فقالوا : والله يا أمير المؤمنين ، ما أتيناك إلا مُفَاخِرِينَ بأحسابنا ، مباهين لك برجالنا ، مُتعزِّزين عليك بسيوفنا ، طالبين من مالكِ ، غيرَ راضينَ باليسير من نوالك . ولكنك بسطت لنـا الوجه ، وألَنْتَ المقال ، فاستغنينا بذلك عن طلبِ المالِ . فقـال : إذَنْ والله لَأَجْمَعَنَّ لكم بين الحُسْنَيَيْنِ ، ولأُصْرِفَنَّـكُم بما يندم من تخلف عنكم .

الزهرة التاسعة عشرة :

مرض قَيسُ بْنُ سعد بن عبـادة (١) رضى الله عنه واستبطأ عُوَّادَهُ ومن كان [123] يزوره من إخوانِهِ ، فسأل عنهم ، فقال المسؤول : إنهم يستحْيُونَ

---

(١) قيس بن سعد بن عبـادة الأنصارى الخزرجي كان هو وأبوه من كبـار صحابة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وكان قيس حامل راية الأنصار فى مشاهد الرسول ، وشهد فتح مصر ثم ولى إمارتها للامام علي بن أبى طالب رضى الله عنه ، وكان مع ابنه الحسن بعد مقتله حتى صالح معاوية ، فرجع إلى المدينة ومات بها فى آخر خلافة معاوية . انظر فى ترجمته الاصابة لابن حجر ، رقم ٧١٨٢ — ٥/٤٧٣ — ٤٧٥ .

مما لك عليهم من الدَّيْن . فقال : قَبَّحَ الله مالاً يمنع الإخوان من الزيارة . ثم أمر أن يُنَادَى : من كان لقيسٍ عنده مالٌ فهو منه فى حِلّ . فَكُسِرَتْ عتبةُ داره من كثرة من دخل عليه من العُوّادِ (١) .

الزهرة العشرون :

كان يحيى بن خالد بن برمك على ما يُعْلم من التسرُّع لقضاء الحوائج ، والابتهاج بها . وكان أصحابه إذا رأوه منقبضاً علموا أنه لم يُسأل فى ذلك اليوم حاجة ، فبسطوه بما ينقبض به الناس من التكاليف ، وكان كثيراً ما يقول : اللهُمَّ اجعلْنَا مِمَّنْ يؤدِّى حقوقَ نِعَمِكَ بقضاء حوائج عبادك . وإذا رأى أولاده يوقِّعون فى حوائج الناس تهلل وجهه وقال : [من المديد]

وَقِّعُوا ما دامَ خاتَمُكُمْ فى طريقِ النفعِ مقبولاَ

الزهرة الحادية والعشرون :

كان جمال الدين الإصبهانى (٢) صاحب الدولة الأتابكيَّة يوماً فى دَسْتِ وَزارتِهِ . فتكاثر الناس على طلب الرسوم والحوائج من بين قاصٍ ودانٍ من

---

(١) ورد هذا الخبر فى كتاب « سراج الملوك » لأبى بكر الطرطوشى (ط. القاهرة ١٣١٩ / ١٩٠١) ص ٧٩ — ٨٠ . وانظر الترجمة الاسبانية التى قام بها لهذا الكتاب ماكسيميليانو ألاركون ، مدريد ١٩٣٠ — ١٩٣١ — ١ / ٣٨٠

(٢) أبو جعفر محمد بن على بن أبى منصور الملقب بجمال الدين الاصفهانى والمعروف بالجواد . كان جده أبو منصور فهاداً للسلطان ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقى . ولما تولى أتابك زنكى بن آق سنقر الموصل استخدم جمال الدين المذكور وقربه فولاه نصيبين ، فظهرت كفايته وعول عليه . فلما قتل وولى بعده ابنه سيف الدين غازى بن أتابك فوض أمور الدولة إلى جمال الدين ، ولم يزل يعطى ويبذل الأموال حتى عرف بالجواد ومدحه جماعة من الشعراء منهم ابن القيسرانى الشاعر . وله فى الجود نوادر كثيرة . ولما مات مخدومه سيف الدين غازى وولى أخوه قطب الدين مودود استكثر إقطاعه ، فقبض عليه فى رجب سنة ٥٥٨ وحبسه فى قلعة الموصل ، فلم يزل مسجوناً حتى توفى فى أواخر رمضان سنة ٥٥٩ . انظر فى ترجمته وفيات الأعيان لابن خلكان ، ترجمة ٧٠٤ — ٥ / ١٤٣ — ١٤٦ ؛ والوافى بالوفيات للصفدى ٤ / ١٥٩ — ١٦١ ، ترجمة ١٦٩٦ .

أصنافٍ شتَّى ، فوسِعَهُمْ بالبذلِ وبَسْطِ الوجهِ . فقام غلامٌ جميلُ الصورةِ كانَ فى آخرِ المجلسِ وأنشدَ يقول : [من الكامل]

حقًّا بأنْ يُدْعَى جمالَ الدينِ والـدُّنيـا فمنهُ كِلاهُما يتجمَّـلُ
وَسِعَ الأنـامَ بخُلْقِهِ وتحمَّلتْ منهم صنائعُهُ الذى لا يُحْمَلُ
كَفٌّ أبَتْ يوماً تكُفُّ عنِ النَّدَى كَرَماً ووَجْهٌ دائماً يتهلَّـلُ
وَأَسَرُّ ما تلقـاهُ يَوْمَ سُؤالـهِ وتراه بادِى الحُزْنِ إذ لا يُسْأَلُ

فقال له الوزير : اجلِسْ بارَكَ اللهُ فيكَ ، فَمَنْ تكونُ ؟ فقـال : ابْنُ زَيَّاتٍ من إصْبَهانَ . فقال : لقد أَحْيَيْتَ أَدَبَ ابنِ الزَّيَّاتِ (١) . فقال له الغلامُ : وأعوذُ باللهِ من طِباعِهِ . [124] فاسْتَنْبَلَ ما أتَى به ، وأمر كاتبَهُ أن يُعْطِيَهُ بكلِّ بيتٍ مائةَ دينارٍ ، ويجعلَ ذلكَ رسماً له يَصِلُ إلى أَخْذِهِ فى كلِّ سنة عند حلولِ ذلكَ الوقتِ .

فلم يصِلْ فى السنة الثانية ، فجعلَ الوزير من بَحَثَ عنه ، فأُعْلِمَ أنَّه مات . فأرسلَ المالَ إلى وَرَثَتِهِ ، ولم يَزَلْ جارياً لهم طولَ حياة الوزير .

الزهرة الثانية والعشرون :

دخل جعفر بن عثمانَ على الفضلِ بن يحيى (٢) ، فرآه يضحكُ . فقال له : ما يُضْحِكُكَ أيها الأمير ؟ فقـال : مكاتبةُ فلانٍ ، أَتَتْنا من غيرِ أُنْسٍ ولا

(١) يعنى الوزير الكاتب المشهور محمد بن عبد الملك بن أبان المعروف بابن الزيات ، وكان أبوه زياتاً فنشأ هو وقرأ الأدب وتوصل بالكتابة إلى أن وزر للمعتصم وللواثق وكان على فضله وأدبه ردىء الطباع مفرط القسوة (ولهذا استعاذ الفتى من طباعه حينما شبهه به الوزير جمال الدين) ، فلما توفى الواثق وولى المتوكل نكبه بعد أربعين يوما من ولايته ، فسجنه وعذبه حتى توفى سنة ٢٣٣ . انظر فى ترجمته وفيات الأعيان ، ترجمة ٦٩٦ ـــ ٥/٩٤ ـــ ١٠٣ ؛ والوافى بالوفيات ٤/٣٢ ـــ ٣٤ ، ترجمة ١٤٨٦ .

(٢) الفضل بن يحيي بن خالد البرمكى أبو العباس ، ولاه الرشيد الوزارة قبل أخيه جعفر . ولد سنة ١٤٧ ومات فى السجن حينما أوقع الرشيد بالبرامكة سنة ١٩٢ . انظر فى ترجمته وفيات الأعيان لابن خلكان ٤ / ٢٧ ـــ ٣٦ .

وسيلةٍ إلينا . فقال له : [أيها] (١) الأمير ، تَوَهَّمَ معروفَكَ وحَسَّنَ الظنَّ بك وبتأميلك ، فكتبَ إليكَ وقد اكتنفه أَمْرَانِ ، واحتكم فيه ضِدَّانِ : طَمَعٌ مؤنِسٌ ، وخَوْفٌ مُؤيِسٌ ، فكن مع أكرم الأمرين وأشرفِ الأملَيْنِ . فقال له الفضل بن يحيى : وَدِدْتُ لو أنَّ أهلَ الأرض كاتبونى فى حوائجهم على هذه الصفة ، فأقضى حوائجَهُمْ . ثم قضى حاجة الرجل .

فقيل لجعفرَ بن عثمان : هل عرفت الرجلَ إذ قمتَ له هذا المقامَ ؟ فقال : لا والله ما عرفتُه قطُّ ، ولو قصدتُ بحضورِى إخوانى خاصَّةً ما عددتُه حضوراً ، فقد قيل إن الرجلَ يُسْأَلُ عن فضل جاهِهِ كما يسأل عن فضل ماله . فقيل له : أنتَ والله سيِّدُ زمانك . وقال (٢) :

خَلَتِ الديارُ فَسُدْتُ غيْرَ مُسَوَّدِ ومِنَ الشقاءِ تَفَرُّدِى بالسُّؤْدُدِ

الزهرة الثالثة والعشرون :

دعا الخليفةُ أبو جعفر المنصورُ يوماً بالربيع (٣) ، فقال له : سَلْنِى ما تُرِيدُ ، فقد سَكَتَّ حتى نَطَقْتَ ، وخَفَّفْتَ حتى ثَقَّلْتَ ، وأقللتَ حتى أكثرتَ . فقال : يا أمير المؤمنين ، والله ما أَرْهَبُ بُخْلَكَ ، ولا أَسْتَقْصِرُ عُمرَكَ ، ولاَ أستصغِرُ فِعْلَكَ ، ولا أغتنم مالك ؛ وإنَّ يومى بفضلكَ لأحسنُ من أَمْسِى ، وغَدِى فى [125] تأميلى أحسنُ من يومى ، ولو جازَ أن يشكُرَكَ مثلى بِغَيْرِ

---

(١) زيادة يقتضيها السياق .

(٢) البيت فى جملة أبيات من كلمة لرجل من خثعم فى حماسة أبى تمام (انظر الحماسة بشرح المرزوقى ص ٨٠٧) ونسبه ياقوت لعمرو بن النعمان البياضى (معجم البلدان ، مادة بقيع) وقد كان يكثر من الاستشهاد به الامام الفقيه المحدث سفيان بن عيينة (عاش بين سنتى ١٠٧ و ١٩٨) (انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ٣٩٢/٢) وكذلك الفقيه الشافعى أبو بكر الشاشى (الذى عاش بين ٤٢٩ و ٥٠٧) (انظر وفيات الأعيان ٢٧/٤—٣٦) .

(٣) هو الوزير أبو الفضل الربيع بن يونس ، وقد مرت بنا ترجمته .

الخدمةِ والمناصحةِ لما سَبَقَنِي إلى ذلك أَحَدٌ . فقال له : صَدَقْتَ ، عِلمى بهذا منك هو الذى أَحَلَّكَ منى هذا المحـلَّ ، وأنزلَكَ هذه المنزلة ، فسَلْنِي مـا شِئْتَ . قال : أسألُكَ أن تُقَرِّبَ عَبْدَكَ الفَضْلَ (١) ابنى وَلَوْ كَرِهَ ، وتُحِبَّه . فقال : يا ربيعُ ، إنَّ الحبَّ ليس بمالٍ يوهَب ، ولا رتبةٍ تُبذلُ ، وإنما تؤكده الأسبابُ . قال : يا أميرَ المؤمنين ، فاجعل له طريقاً إليه بالتفضُّل عليه . قال : صدقت الآن ، وقد وَصَلْتُهُ بألفِ ألفِ درهم ، ولم أَصِلْ بها أحداً غير عُمُومتى ، ليعلمَ ماله عندى ، فيكون منه ما يستدعى محبَّتى ، فقل لى : من أينَ سألت له المحبة يا ربيع وقَدَّمْتَها على غيرها من المطالبِ والمسائلِ ، وآثرتها على ما سواها من الرغائِبِ والطوائل ؟ قال : لأنها مفتـاحُ كلِّ خير ، ومِغْلاقُ كل شرٍّ ، تَسْتَتِرُ مع المحبة عنك عيوبُه ، وتصير عندك حسناتٍ سيئاتُهُ وذنوبه . قال : صدقت ، وقد أتيت مُرادَكَ من بابه ، وتسبَّبْتَ إليه بأنجح أسبابه .

الزهرة الرابعة والعشرون :

قال عمرانُ بْنُ شهابٍ الكاتب : اِستَعَنْتُ على الوزير أبى عُبَيْدِ اللهِ بْن يَسارٍ فى أمرٍ عَنَّ لى إليه ببعض إخوانِهِ . فلما قام الذى استعنتُ به قال : لولا أنَّ حَقكَ حَقٌّ لا يُجْحَدُ ولا يُضَاعُ لَحَجَبْتُ عنكَ حُسْنَ نظرى . أَظَنَنْتنى أجهلُ الإحسان حتى أُعَلَّمَهُ ، ولا أعرف موضعَ المعروفِ حتى أُعَرَّفَهُ ؟ ولو كان لا يُنالُ ما عندى إلا بغيرى لـكنتُ بمنزلة البعيرِ الذلولِ ، عليه الحِمْلُ الثقيل ، إن قيدَ انقادَ ، وإن أُنيخ َبَرَكَ ، لا يملكُ من نفسه شيئاً . فقلت له : أبقاكَ الله ، معرفتُك بمواقع الصنائع أثقبُ من معرفةِ غيرك ، ولم أجعلْ

---

(١) الفضل بن الربيع بن يونس استوزره الرشيد ، وهو الذى أغراه بالبرامكة حتى نكبهم ، ولد سنة ١٤٠ وتوفى سنة ٢٠٨ ، انظر ترجمته فى وفيات الأعيان ، رقم ٥٢٨ — ٤/ ٣٧ — ٤٠) .

فلاناً شفيعاً ، وإنما جعلتُه مُذْكِراً . فقال : وأيُّ إذكارٍ لمن رَعَى حقك أَبْلَغُ من [126] تسليمك عليه وشخوصك إليه ؟ إنه متى لم يتصفَّح المأمولُ أسماءَ مُؤَمِّلِيه بقلبه غُدُواً ورَوَاحاً لم يكن للأمل محلاّ ، وجرى المقدار لمؤَمِّليه على يديه بما قُدِر ، وهو غيرُ محمودٍ[١] على ذلك ولا مشكور ، وما لى كتابٌ أَدرُسُهُ بعد وِرْدِى من القرآن إلا أسماءُ رجالِ التأميلِ بى ، وما أبيتُ ليلة حتى أعرِضَهم على قلبى . فلا تستعنْ على شريفٍ إلا بشرفِهِ ونفسه ، فإنك متى استعنتَ عليه بغيره رأى ذلك غَبْناً لمعروفه .

الزهرة الخامسة والعشرون :

وقَّع جعفرُ بْنُ يحيى بن خالدٍ[٢] لرجلٍ إلى عاملٍ له ليشغله : هذا مِمَّا تَنْهَضُ به نفسُهُ وتُقَدِّمُهُ كِفايتُه ، فإنْ لم تغلِبْ عليه بفضلِكَ غَلَبَ عليه غيرُكَ .

الزهرة السادسة والعشرون :

وَقَّع يحيى بن خالدٍ فى أمرِ فتًى امْتُدِح لَهُ : هذا فتًى له حُرْمَةُ الأملِ ، فامتَحِنْهُ بالعملِ ، فإنْ كان كافياً فالسلطانُ له دُونَنا ، وإنْ لم يكُنْ كافياً فنحن له دُونَ السلطانِ .

الزهرة السابعة والعشرون :

قالَ يوماً رَجُلٌ ليحيى بن خالد : واللهِ لأنْتَ أَحْلَمُ من الأحْنَفِ ، وأَحْكَمُ من مُعاويةَ ، وأَحْزَمُ من عبدِ الملكِ ، وأَعْدَلُ من عُمَرَ بنِ عبدِ

---

(١) فى الأصل : محدود ، وقد وضع الناسخ عليها علامة تدل على شكه فيما كتب ، ولعل الصواب ما أثبتنا .

(٢) جعفر بن يحيى بن خالد البرمكى وزير هارون الرشيد المشهور . قتله الرشيد سنة ١٨٧ فى نكبة البرامكة (انظر وفيات الأعيان ، رقم ١٣٢ — ١ / ٣٢٨ — ٣٤٦) .

العزيزِ . فقال له يحيى : والله لَعُمَيْرٌ غلامُ الأحنفِ أَحْلَمُ منى ، ولَسَرْحُونُ كاتبُ معاوية أَحْكَمُ منى ، ولأَبُو الزُّعَيْزِعَةِ صاحبُ شرطةِ عبدِ الملكِ أَحْزَمُ منى ، ولَمزاحمٌ قهرمانُ عمرَ بن عبد العزيزِ أعْدَلُ مِنِّى . وما تقرَّبَ إلَىَّ مَنْ أعطانى فَوْقَ حقِّى . فَعَجِبَ مَنْ حَضَرَهُ من سرعةِ جَوَابِهِ وتعديدِهِ لِمَنْ لا يعرفه حتى كأنَّه قَدْ أَعَدَّ الجوابَ (١) .

الزهرة الثامنة والعشرون (٢) :

حَكَى أبو العلاء صاعِدٌ اللُّغَوِيُّ (٣) قال :

جَمَعْتُ خِرَقَ الأكياسِ والصُّرَرِ التى قبضتُ فيها صلاتِ المنصور محمد بن أبي عامرٍ ، فَقَطَّعْتُ لكافور [127] الأسودِ غُلامِى منها قميصاً كالمرقَّعَةِ (٤) وبكَّرْتُ به معى إلى قصرِ المنصورِ ، فاحتلْتُ فى تنشيطِهِ حتى طابَتْ نفسُه ، فقلتُ : يا مولانا ، لعبدك حاجةٌ . فقـال : اذكرها . قلت : وصولُ غلامى

---

(١) ورد مثل هذا الخبر مختصراً فى كتاب الأذكياء لأبى الفرج ابن الجوزى ص ٥٠ وكذلك في وفيات الأعيان ٦/٢٢٧

(٢) أورد المقرى فى نفح الطيب نص هذه الزهرة الثامنة والعشرين نقلا عن كتاب «الزهرات» (٣/٨٣ــ٨٤) ، وهكذا توفر لنا فى هذه الزهرة وما يليها مما نص المقرى على أنه اقتطفه من هذا الكتاب ما يشبه أن يكون أصلا آخر إلى جوار الأصل ا .

(٣) أبو العلاء صاعد بن الحسن البغدادى اللغوى وفد من المشرق على الأندلس أيام المنصور بن أبي عامر سنة ٣٨٠ هـ ، وسرعان ما أصبح من أقرب شعرائه إليه وأكثرهم اختصاصاً به . وقد لحق صاعد الفتنة البربرية فى قرطبة ، فغادرها إلى سرقسطة حيث بقى زمنا فى بلاط منذر بن يحيى التجيبى ، ثم هاجر إلى صقلية وبها قضى بقية حياته ، وتوفى سنة ٤١٧ . انظر فى ترجمته : الحميدى : جذوة المقتبس ، رقم ٥٠٩ ، ابن بشكوال : الصلة رقم ٥٣٦ ؛ ابن بسام : الذخيرة ق ٤ــ١/٦ــ١٤ ؛ المقرى : نفح الطيب ٣/٧٥ــ٨٤ ، ٩٥ ــ ٩٨ ؛ آنخل جونثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسي (ترجمة الدكتور حسين مؤنس) ص ٦٦ ــ ٦٨ .

(٤) في ا : كالمرقة والتصويب عن نفح الطيب .

كافور إلى هنا . فقال : وعلى هذه الحالِ ؟ فقلت : لا أقنعُ بسواه إلا بحضوره بين يَدَيْكَ . فقال : أَدْخِلُوه . فمثل قائماً بين يديه فى مُرَقَّعَتِهِ ، وهو كالنخلةِ إشرافاً . فقال : قد حَضَرَ ، وإنه لباذُّ الهَيْئَةِ ، فما لك أَضَعْتَه ؟ فقلتُ : يا مولاى ، هناكَ (١) الفائدة . اعلم يا مولاى أنك وهبتَ لى اليومَ مِلْءَ جلدِ كافور مالاً . فتهلَّل وقال : لله دَرُّكَ من شاكرٍ مستنبطٍ لِغَوامِض معانى الشكرِ ! وأَمَرَ لى بمالٍ واسع وكسوةٍ . وكسا كافوراً أحسن كسوة (٢) .

الزهرة التاسعة والعشرون (٣) :

تقدَّم إلى الحاجب المنصور بن أبى عامر وانزمارُ بن أبى بكر البِرْزَالىُّ أحد جند المغاربة ، وقد جلس للعَرْضِ والتمييز ، والميدان غاصٌّ بالناس ، فقال له بكلام يُضْحِكُ الثَّكْلَى (٤) : يا مولاى ، مالى ولك ؟ ! أَسْكِنِّى فإنى فى الفَحْصِ . فقال : وما ذاك يا وانزمار ؟ وأين داركَ الواسعة الأقطار ؟ فقال : أخرجتنى عنها والله نعمتُك (٥) ، أعطيْتَنى من الضياع ما انصبَّ عَلَىَّ منها من الأطعمةِ ما ملأ بيوتى وأخرجنى عنها ، وأنا بَرْبَرِىٌّ مُجَوَّعٌ حديثُ العهدِ

---

(١) في النفح : يا مولانا ، هنالك .

(٢) وردت قصة شبيهة بهذه في أخبار صاعد التى أوردها ابن بسام فى الذخيرة ق ٤ــ١ / ١٦ ؛ إلا أن صاعداً نفسه فى هذه القصة هو الذى دخل على المنصور وقد اتخذ ذلك القميص من رقاع الخرائط التى وصلت إليه من صلات المنصور ولبسه تحت ثيابه ، ولم يزل منتظراً حتى خلا به المجلس مع المنصور ، فتجرد من ثيابه إلا ذلك القميص .

(٣) ورد نص هذه الزهرة أيضاً فى نفح الطيب للمقرى (١ /٤١٧)

(٤) فى الأصل : الثكلان ، وقد آثرنا ما ورد فى نفح الطيب .

(٥) فى الأصل : والله عنها نعتك ، وما فى النفح أصح .

بالبؤسِ (١) . أترى لى أن أُبْعِدَ القمحَ عنى ؟ ليس ذلك من رأيى . فتطلّق المنصورُ وقال : لِلّه درُّكَ من فَذٍّ عَيٍّ ! . . لَعِيُّكَ فى شكرِ النعمة أَبْلَغُ عندنا ، وآخَذُ بقلوبنا من كلام كل أَشْدَقَ متزيِّدٍ ، وبليغٍ متفنِّنٍ (٢) . وأقبل المنصورُ على من حولَهُ من أهـل الأندلس (٣) ، فقال : يا أصحابَنا ، هكذا فلْتُشْكَرِ الأيادِى ، وتستدامُ النعم (٤) ، لا ما أنتْم عليه من الجَحْدِ اللازم ، والتشكِّى المُبرِّح . وأمر له بأفضلِ المنازلِ الخالية .

[128] الزهرة الثلاثون (٥) :

أصْبَحَ المنصورُ بن أبى عامر صبيحة أحَدٍ ، وكان يومَ راحَةِ (٦) الخَدَمَةِ الذين أُعْفُوا فيه من قَصْدِ الخِدْمَة (٧) ، فى مطر وابل غِبَّ أيامٍ مثله .

---

(١) نلمس فى هذا الخبر وما فيه من تعريض بـالبربر وسخرية من عيِّهـم وحداثـة عهدهم بالبؤس مظهراً من مظاهر تلك العصبية الأندلسية التى كانت ترى للأندلسيين فضلا وسابقة فى الحضارة والثقافة على جيرانهم من أهل المغرب ، وهذه العصبية هى التى تفجرت أخيراً فيما يعرف باسم « الفتنـة البربرية » والحرب الأهليـة العنيفة التى دارت فى الأندلس على أثر سقوط الدولة العامرية .

(٢) فى الأصل : متفر ، والصواب ما ورد فى النفح .

(٣) فى الأصل : وأقبـل على ما حوله من الأندلس . وقد آثرنـا مـا جـاء فى النفح لأنه أصوب .

(٤) فى الأصل : كذا فتشكروا الأيادى واستديموا النعم ، ونص النفح أصوب .

(٥) هذه الزهرة وردت أيضاً فى نفح الطيب (١ / ٤١٧ — ٤١٨) .

(٦) هذه الكلمة ناقصة فى الأصل ، فأضفناها من النفح لأن السياق يقتضيها .

(٧) يؤكـد هذا الخبر اتخاذ المسلمين فى الأنـدلس يوم الأحـد عطلتهم الأسبوعية ، وهو تقليد قديم اتبع فى الأندلس منذ أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم (حكم بين ٢٣٨ و ٢٧٣ / ٨٥٢ — ٨٨٦) ، وكـان أول من سن هـذا التقليد هو كـاتب الأمير محمد قومس بن أنتيقان على مـا يشهد ابن حيان فى كتـاب المقتبس ، (بتحقيقنـا ، ط . بيروت ١٩٧٣ ص ١٣٨ و ص ٥١٩ من الحواشى) فجرى رجال الدولة على هذا التقليد ، ويضيف ابن حيان أن ذلك أمر مضى فى الأندلس إلى أيامه .

فقال : هذا يومٌ لا عَهْدَ بمثلِه ، ولا حيلةَ للمواظِبين لقصدِنا فى مكابَدتِه . فليت شعرى هل شَذَّ أحدٌ منهم عن التقديرِ ، فأغرب بالبكور [١] ؟ اخرج وتأمل — يقوله لحاجبِه — فخرج وعاد إليه ضاحكاً ، وقال : يا مولاى ، على الباب ثلاثة رهط من البرازلة [٢] : أبو الناس ابن صالح ، واثنان معه ، وهم بحال من البلل إنما توصف بالمشاهدة . فقال : أوْصِلْهُمْ إلىَّ وعجِّلْ . فدخلوا عليه فى حال المَلَّاح [٣] بللاً ونداوةً . فضحك إليهم وأدنى مجلسهم ، وقال : خبِّرونى كيف جئتم ؟ وعلى أى حال وصلتم ؟ وقد استكان كل ذى روح فى كِنِّه ، ولاذ كل طائرٍ بوكرِه . فقال له [٤] أبو الناس بكلامه : يا مولانا ، ليس كُلُّ التُّجَّارِ قعد عن سُوقه ، وإذا عُذِر التجارُ على طلب الربح بالفلوس ، فنحن أعْذَرُ [٥] بإدراكِها بالبِدَر ومن غير رؤوسِ أموال [٦] . وهم يتناوبون الأسواقَ على أقدامهم ، ويُذيلُون فى قصدها ثيابهم ، ونحن نأتيك على خيلك ، ونذيل على صهواتها ملابسَك ، ونجعل الفضل فى قصدك مضموناً إذا جعله أولئك طمعاً ورجاء ، فترى لنا أن نجلسَ عن سوقِنا هذا ؟ فضحك محمد بن أبى عامر [٧] ودعا بالكُسَى والصلات ، فدفعت لهم ، وانصرفوا مسرورين بغُدْوَتِهم .

الزهرة الحادية والثلاثون :

أُتِىَ أبو جعفر المنصورُ بشيخ من أهلِ الشام ، كان من بطانةِ الخليفةِ هشام بن عبد الملك ، ليسألَه عن تدبيرِ هشامٍ رحمه الله فى بعضِ حروبِه

---

(١) فى نفح الطيب : فى البكور .
(٢) فى النفح : ثلاثة من البرابرة ، وما فى الأصل أصح وأدق . ويعنى بالبرازلة بنى برزال .
(٣) فى الأصل : المياح ، وقد آثرنا ما ورد فى النفح .
(٤) له ناقصة فى النفح .
(٥) فى الأصل : أعذار وما فى النفح هو الصواب .
(٦) فى النفح : الأموال .
(٧) فى النفح : المنصور .

للخوارجِ ، فوَصَفَ له الشيخُ ذلك ، وجعل يقولُ فى أثناء كلامِه : فَعَلَ كذا رحمه الله ، وقال كذا رحمه الله [129] ، وجعلَ يُثْنِى عليه . فقال المنصور : قُمْ عليكَ غضبُ الله ! تطأُ بساطى وتُثْنِى على عدُوِّى وتترحَّمُ عليه ؟ فقام الشيخُ وهو يقول : إنَّ نعمةَ عدُوِّكَ لَقِلادَةٌ فى عُنُقِى لا ينزِعُها منه إلاَّ غاسِلِى . فقال له المنصورُ : اقعُدْ يا شيخُ ، فأنا أشهدُ أنك نَهيضُ (١) حُرَّةٍ وغِراسُ كَرمٍ . فرجع الشيخُ وعاد فى حديثِه الأوَّلِ حتى فَرَغَ منه . فأمر له المنصورُ بمالٍ ، فأَخَذَه ، وقال : والله يا أميرَ المؤمنينَ مالى حاجةٌ إليه . ولكن لأَتَشَرَّفَ بصِلَتِكَ ، [١٦] ولقد ماتَ عَنِّى مَنْ كنتُ فى حديثه آنفاً ، وما أحْوَجَنِى إلى الخروج لبابِ مخلوقٍ . فقال المنصورُ لجلسائِه بعد خروجه : عِنْدَ مثلِ هذا تَحْسُنُ الصَّنيعةُ ، ويُوضَعُ المعروفُ ، ويُجادُ بالمصونِ ، وأَيْنَ فى عسكَرِنا مِثْلُه ؟ !

الزهرة الثانية والثلاثون :

قيل لعجوزٍ وهى تبكى عند قبر : بماذا استحَقَّ هذا منكِ ؟ فقالت : جاوَرَنا وما فينا (٢) إلا من تحِلُّ له الصَّدَقة ، وما ماتَ وما مِنَّا إلا من تجِبُ عَلَيْه الزَّكاة .

الزهرة الثالثة والثلاثون :

وقف الخليفةُ المهدِىُّ من خلفاء بنى العباس على عجوزٍ من العرب ، فقال لها : مِمَّنْ أنتِ ؟ فقالت له : من طَيِّء . فقال : ما منع طيِّئاً أن يكون

---

(١) كذا فى الأصل ، ولعله يعنى به أنه نهضت عنه أى ولدته حرة .
(٢) فى ب : فيها .

فيهم آخرُ مثلُ حاتِمٍ (١) ؟ . فقالت له مسرعة : يا أمير المؤمنين ، الذى منعَ الملوكَ أن يكون فيهم آخرُ مثلك !

الزهرة الرابعة والثلاثون :

رأى المأمونُ خطَّ كاتِبِه محمدِ بنِ داود (٢) ، فقال : يا محمد ، إن شاركنـاكَ في اللفظِ فقد فارقناكَ فى الخطِّ . فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إن من أعظم آياتِ النبى صلى الله عليه وسلم أنه أَدَّى عن الله رسالتَه وحَفِظَ عن اللهِ وَحْيَهُ وهو أُمِّيٌّ لا يعرفُ من فنونِ الخط فنّاً ، ولا يقرأ من سائره حرفاً ، فبقى عَمودُ [130] ذلك فى أهله ، فهم يَشْرُفونَ بالشَّبَهِ الكريم فى نقص الخط كما يشرف غيرهم بزيادته ؛ وإنَّ أمير المؤمنين أخصُّ الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم والوارثُ لموضعِه والمتقلِّدُ لأمره ونهيِه ، فَعَلِقَتْ به المشابهة الجليلة ، وتناهت إليه الفضيلة ، فقال المأمون : يا محمد ، لقد تركتنى لا آسَى على الكتابةِ ولو (٣) كنت أمياً .

(بقية النص فى المجلد القادم)

---

(١) حاتم بن عبد الله الطائى الذى ضربت بجوده الأمثال ، وأخبار كرمه مبثوثة فى كل كتب الأدب والأخبار والأمثال .

(٢) لم نهتد فى المصادر التى بين أيدينا إلى شخصية محمد بن داود هذا الذى ينسب إليه كونه أحد كتاب المأمون ، فاسمه لم يرد فى قائمـــة هؤلاء الكتاب التى أثبتها ابن عبد ربه (العقد ٤ / ١٦٥ ، ٥ / ١٢٠) ولا فى كتاب الوزراء والكتاب للجهشيارى . وقد وقر فى ظننا أن هذا الاسم ربما كان محرفا عن « محمد بن يزداد » ، بدلا من « . . . بن داود » ، فقد كان محمد بن يزداد فعلا أحد كتاب المأمون (العقد ٥/١٢٠) .

(٣) فى ب : وإن ، والصواب ما أثبتنا عن ا .

اكتشاف نص جديد من كتاب

البيان المغرب فى اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب

يتعلق بتاريخ الموحدين

زارنى بمنزلى بفاس صديق كريم وبشرنى مسروراً بحصوله على مخطوطة قديمة لكتاب « الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس » ، وقرن هذه البشرى بتقديم المخطوطة إلىَّ لأقول رأيي فيها ولأقارن بينها وبين نسخ هذا الكتاب المخطوط منها والمطبوع ، وشكرتُ للصديق هذه البشرى . وبدأت أجيل النظر بين صفحات المخطوطة ، فلم أتردد فى إخبار الصديق أن المخطوطة التى اشتراها على أنها نسخة من كتاب « الأنيس المطرب » ليست إلا نسخة من كتاب « البيان المغرب فى اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب » ، لابن عذارى وتشمل الجزء المطبوع بمدينة تطوان سنة ١٩٦٠ م. الذى نشره المستشرق الاسبانى أمبروسي هويسى مراندة ، مع مساهمة الأستاذين محمد بن تاويت ، ومحمد ابراهيم الكتانى . والمخطوطة مبتورة الأول والآخر ، ينقصها ثلاث أوراق من البداية وثلاث أخرى من النهاية . وهى مكتوبة بثلاثة أقلام وخطوط متفاوتة فى الجودة والرداءة ، والخطأ والصواب ، وتشتمل على نفس البياضات الموجودة فى النسخة المطبوعة بتطوان منذ ما يقرب من تسع عشرة سنة . وعدد أوراقها ٢٢٩ ورقة أى ٤٥٨ صفحة فى حجم ٢٤ سم × ١٧ سم . وعدد سطور كل صفحة عشرون سطرا . ولما كانت مبتورة الأول والآخر فهى خالية من اسم الناسخ وتاريخ

النسخ ومكانه ، إلا أننا نعتقد استدلالا من نوعية الورق أنها كتبت خلال القرن الحادى عشر الهجرى السابع عشر الميلادى .

بعد هذه النظرة الأولى فى أوراق المخطوطة ، تفرغت لمقارنتها بالنسخة المطبوعة فى تطوان المشتملة على تاريخ الموحدين وأعمالهم فى كل من الأندلس والمغرب . فوجدت بها زيادة مفيدة عظيمة الأهمية . ومصدر هذه الأهمية من مما يلى :

١ — انها زيادة تشتمل على ما يقرب من ٢٦ صفحة متصلة نجاوزها أو غفل عنها ناسخ المخطوطة التى طبعت عليها طبعة تطوان من الجزء الخاص بالموحدين .

٢ — انها تشتمل على معلومات مدققة عن الأيام الأولى لعمل الموحدين فى عواصم الأندلس وأقاليمها ولا سيما « الغرب » و « الوسط » مع الحكام المتغلبين أمثال « ابن قسى » و « البطروجي » وغيرهما ، ومع قواد المرابطين الذين حملوا لواء المقاومة هناك ، ثم بايع بعضهم الموحدين .

٣ — انها تفسّر لنا بعض الأعمال والمواقف التى اتخذها عبد المؤمن فى المغرب إزاء شخصيات موحدية ومرابطية وبعض الشخصيات الأندلسية التى وفدت على المغرب .

ونجد فى هذه الزيادة بعض البياضات ، ولكنها لا تضر ، حيث انها لا تشمل جوهر المعلومات ، وانما تقع فى الغالب فى تفصيلات وشروح وربط الجمل بعضها ببعض شأنها فى ذلك شأن البياضات الموجودة فى الجزء بأكمله : المخطوط والمطبوع .

ولأهمية هذه الزيادة فيما يتعلق بتاريخ الأندلس والمغرب أردنا نشرها هنا على صفحات مجلة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية لكونها مجلة متخصصة

تلتقى فيها أقلام الباحثين فى تاريخ المغرب والأندلس من شرقيين ومستشرقين ، لا سيما وان كتاب « البيان المغرب » لابن عذاري يحتل مكانة مرموقة فى مصادر هذه المادة التاريخية . ومنذ حقبة طويلة من الزمن كانت الأضواء مسلطة على نسخه المخطوطة لاكتشاف أقسامها فى خزائن الشرق والغرب وما زال جمع شتات هذه الأقسام وتحقيقها وطبعها طبعاً علمياً . ديناً فى عنق الباحثين المهتمين بتاريخ المغرب والأندلس .

ويقتصر عملنا فى هذه « الزيادة » المكتشفة من « البيان المغرب » على جمع ونسخ مادتها من هذه السطور الملتوية لتكون طبق الأصل ، مع الاستعانة بالنسخ الخطية الثمينة التى تحتفظ بها الخزانة الملكية بالرباط لهذا الجزء من كتاب ابن عذاري ، لا سيما المخطوطة رقم ٧٧٧ والمخطوطة رقم ١١٥٨ ، فقد استعنا بهما لقراءة النصوص والتثبت من بعض الأعلام . ومع بذل المجهود فى هذا الميدان فاننا نعتقد أن هناك ثغرات تنتظر مزيداً من التصحيح والتحقيق وأبياتا مكسورة تنتظر الإصلاح والتقويم عندما يُراد طبع نصوص الكتاب طبعة علمية تعتمد على مخطوطات هذا الجزء من كتاب ابن عذاري . . .

ولهذا وغيره من الأسباب لم نعلق على نصوص هذه « الزيادة » واكتفينا بتقديمها للباحثين لتكون حافزا ومشجعا لمن يريد الاشتغال بدراسة وتحقيق هذا الجزء من « البيان المغرب » .

بقى أن نشير فى النهاية إلى أن هذه « الزيادة » ينبغى إضافتها إلى نصوص الجزء المطبوع بتطوان هكذا بداية ونهاية : ففى الصفحة ٢٧ وفى السطر الأخير منها نطالع ما يلى :

« وفى أثناء هذه الفتن قام من أهل سبتة قوم على مَنْ . . . »

وتكمله الزيادة هكذا :

« . . . بالقصبة حتى غلبوهم وأوقدوا النار عليهم بالبرج . . . »

وتستمر الزيادة إلى نهايتها لتلتقى مع المطبوع فى نفس السطر عند قوله :

« . . . فى قلوب عبد العزيز وعيسى وأصحابهما . . . »

وفيما يلى صورة فتوغرافية من هذه المخطوطة التى قدمها إلىّ الصديق مشكوراً على أنها من كتاب « الأنيس المطرب » وما هى فى الحقيقة إلا جزء من البيان المغرب لابن عذاري .

النص

. . . من بالقصبة حتى غلبوهم ، وأوقدوا النار عليهم بالبرج الذى تحصنُّوا فيه حتى قتلوهم وصلبوهم ، وجاز البحر عياضٌ القاضى إلى يحيي بن علي ابن غانية وهو بالخضراء . وطلب منه واليا ، فأرسل معه يحيي بن أبى بكر الصحراوي ، فأجازه البحر إلى سبتة ، فاستولى عليها وخلعوا طاعة عبد المؤمن . وقام أهل المدينة على الموحدين فيها وقتلوا الحافظ بها يوسف بن مخلوف ، وكان قد غزا مع القاضى عياض الروم فى البحر . ولما فتح الموحدون مدينة فاس واستقروا بها فر يحيي الصحراوي صاحبها واستقر بطنجة ، ثم جاز البحر إلى الأندلس برغبته إلى قائد البحر على بن عيسى بجزيرة قادس ، فأجازه القائد المذكور وأجاز أصحابه اللمتونيين والروم الذين كانوا معه إلى جزيرة قادس ، فاشترط القائد على يحيي هذا أنه إذا وصل قرطبة إلى ابن غانية أن يشفع فى عيسى والده ويخرج من سجنه بقرمونة ويسرحه إليه ، فضمن له ابن الصحراوي ذلك . فلما أجازه علي عزم على أن يأخذ خيلهم وما بقى عندهم من مال ورجال . وقد كان أعطاه مالا كثيراً ، ففهم يحيي عن ذلك ، ففر إلى ابن غانية بقرطبة فاستقر عنده ، وأطلق والد على المذكور ، ووفى له . ثم أن ابن الصحراوى لما حصل بسبتة تحيل على القائد علي بن عيسى المذكور واستدعاه إليها وخدعه وقتله ، ثم إن ابن الصحراوى أيضاً كثرت فتنته ، ودام تخليطه ، ورام أن يجمع ما مضى من أيام آبائه ، فلم تعنه الأيام . . . . أخذا فى العفو عنه بعد وصوله إلى برغواطة حسبما أذكره .

ذكر الوفد الناهض من اشبيلية الى عبد المؤمن ، وهو أول وفد نهض من الأندلس اليه فى أواخر سنة احدى وأربعين

أما فتح إشبيلية وطاعة أهلها فكان ذلك فى الثانى عشر من شعبان من هذه السنة . وكان وصول هذا الوفد بالبيعة إلى عبد المؤمن ودخولهم مراكش فى شهر ذى الحجة من العام المؤرخ . فأولهم القاضى أبو بكر بن العربى والخطيب أبو عمرو بن حجاج ، وأبو بكر بن الجد ، وأبو الحسن الزهري ، وأبو الحسن بن صاحب الصلاة ، وأبو بكر بن شجرة ، وولد الباجى ، والهوزنى ، ومحمد بن الزاهد ، ومحمد بن القاضى شريح ، وعبد العزيز الصدفى ، وعلي بن طالب ، وعلي بن السيد ، وغير هؤلاء . فلما كان عيد الأضحى أذن لهم فى السلام ، وجاوبهم بالتأمين والتسكين ، والوعد الجميل المؤذن بالفتح المبين ، ثم بعد ذلك أذن لهم بالدخول عليه فى مجلسه العام بقصر الحجر ، فتقدم القاضى أبو بكر بن العربى بالكلام ، وخطب خطبة بليغة استحسنها الخليفة ، ثم تلاه أبو بكر بن الجد بخطبة ثانية فأحسنها وأجاد ، ودفعوا له بيعة أهل إشبيلية بخطوط أيديهم فيها ، فأمر بقبولها منهم . ثم إن الخليفة سأل ابن العربى عن المهدي هل رآه ولقيه فى مجلس أبى حامد الغزالى أم لا ؟ فقال له : لم ألقه ، وإنما سمعت به ، وأنه كان يقول لابد من ظهوره ثم انفصلوا من عنده بخير كثير وانعام كبير . قال أبو العباس بن مقدام : لما وصل هذا الوفد مراكش وارتدت القبائل بسبب قيام الماسى ، وَشَى واشٍ إلى الخليفة أن إشبيلية ارتدت بمن فيها ، وشاع الخبر بذلك ولا علم عند الوفد بهم ، فلم يشعروا إلاّ والموحدون قد أحاطوا بالدار التى كانوا بها على الأسقاف بالرماح والسيوف ، فمنهم من غشى عليه ، ومنهم من بهت ، وظهر الموت لديه ، ورقب عليهم الرقباء ليلا ونهاراً ، ورأوا الموت عيانا وجهاراً ، ودام ذلك ثلاثة أيام إلى أن وصل الحق

ببراءة أهل إشبيلية بكتاب الشيخ أبي يعقوب بن سليمان من إشبيلية ، فاستدرك الأمير أرواحهم ، وعجل بسراحهم ، فوجه إليهم أبا إسحاق بن جامع وعبد الله ابن سليمان معتذرين لهم ، فقالا لهم إنما وجه لكم الرجال اشفاقاً عليكم ونظراً حسناً إليكم لأن الأمير رضى الله عنه قال إن وصلهم خبر ارتدادهم يفرون على وجوههم فتأكلهم الطرق بمن فيها من الثائرين ، فتابت إليهم نفوسهم ، وكان لهم بعد ذلك السراح والإنعام ، وأمر لهم بالزاد الوافر على أوفى الكمال والتمام ، فأمر للقاضى ابن العربى بمائة مثقال ذهبية حشمية ، ولابن حجاج الخطيب بمثل ذلك ، ولسائر الوفود على قدر منازلهم وانصرفوا بظهائرهم من كتب ابن عطية بالانعام عليهم بصرف أموالهم وضياعهم إليهم . وكان انصرافهم من مراكش فى جمادي الآخرة من سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة . وتوفى القاضى ابن العربى وهو على دابته فى الشهر المذكور عند وصوله إلى مدينة فاس ، ودفنوه فى روضة الجيانى وعمره خمسة وسبعون سنة . وسبب وصولهم إلى فاس أنهم أخذوا على طريق الجبل بسبب فتنة القبائل .

تلخيص بدخول الموحدين للأندلس أولا

لما اتصل بالأندلس موت علي بن يوسف ومقتل تاشفين بن على ولى عهده ودخول الموحدين مدينة فاس ، طاع على بن عيسى بن ميمون قائد البحر المنتزي على الملثمين بقادس ، وقصد عبد المؤمن ، فوصل إليه وهو بجبل العرض . فأمر عبد المؤمن القائد المذكور أن يتوجه إلى الجزيرة المذكورة وأن يهدم الصنم الذى فيها . فانصرف وشاع خبره بجزيرة الأندلس ، وخطب له عليٌّ المذكور بجامع قادس ، وهى أول خطبة خطبت له بجزيرة الأندلس وذلك فى أول عام أربعين وخمسمائة . ثم طاع أحمد بن قسى من موضع قيامه من حصن مرتلة عند غلبة سِدْرَاي بن وزير عليه . وكانت طاعته على يد على بن عيسى

المذكور أجازه فى غراب هو وأصحابه المختصون به من مرتلة إلى سبتة ، وكانت سبتة إذ ذاك فى طاعة الموحدين تحت نظر الشيخ أبى يعقوب يوسف بن مخلوف ، فأعان ابن مخلوف ابن قسى فى المشى لعبد المؤمن حتى وصله بجبل العرض فى شعبان من العام المذكور ، ثم بعثه صحبة الشيخ أبى اسحاق براز بن محمد المسوفى إلى الأندلس لحرب من بها من الثوار الملثمين بعسكر من الموحدين تنويهاً به ، وبعث معه أبا عمران موسى بن سعيد من جبل العرض أيضاً وعمر بن صالح بعسكر آخر .

وقد ذكر ابن صاحب الصلاة إجازة أبى إسحاق براز بن محمد المسوفى ، وعمر ابن صالح الصنهاجى ، وأحمد بن قسى مع البعوث معهم إلى الأندلس فى تاريخ المُريدين الثوار بها فقال من جملة كلامه :

لما جاز العسكران إلى الأندلس قصدا مدينة شريش أولا وكانت تحت الطاعة . ثم جازوا وادي اشبيلية وساروا إلى لبلة ، ثم تحركوا منها إلى مرتلة وهى تحت الطاعة ، ثم تحركوا منها إلى شلب ونزلوا على أنظارها ثم فتحوها ، ونهضوا منها إلى باجة . فأطاع سدراي بن وزير وخرج إلى الموحدين فأدخلهم باجة على أيمن حال ، وطاع جميع أهل الغرب والجوف من الأندلس . ثم رحل أبو إسحاق براز من باجة إلى مرتلة ، وأقام بها زمن الشتاء ، ثم أمر سدراي بن وزير أن يصل إليه إلى مرتلة بجميع العسكر الذى إلى نظره فوصله بجميع ذلك من الفرسان والرجال وتحركوا منها إلى لبلة فتلقاهم يوسف بن محمد البطروجى صاحبها ، ومشى الجميع بعد ما طاع أهل طلياطة وحصن القصر ، ووصل الجميع إلى إشبيلية فحصروها براً وبحراً ففتحها الله تعالى :

ذكر ما حدث على أهل اشبيلية من الحوادث عند فتح الموحدين لها على جهة الايجاز والاختصار

كان فتحها يوم الأربعاء الثانى عشر من شعبان المكرم من سنة إحدى وأربعين ، ذكر ذلك ابن صاحب الصلاة فى كتابه فقال : فتحت عند أوان

العصر وفر لمتونة منها إلى قرمونة ، وقتل من أدرك منهم ومن أتباعهم ، وقتل أبو عمر النياقى الفقيه ، وعبد الله بن القاضى أبى بكر بن العربى عن غير قصد فى باب المسجد ، وملك الموحدون المدينة وقصبتها التى كانت قصر ابن عباد .

وكان شيخ الموحدين الذين يرجعون إليـه أبا اسحاق بن محمد المسوفى . وحضر هذا الفتح من رؤساء الأندلس وثوارها أبو محمد سدراى بن وزير شيخ أهل الغرب بالأندلس ، ويوسف بن محمد البطروجى القائد بلبلة ، وابيد بن عبد الله قائد شنترين ، وجميع أهل الغرب بعسكرهم ورجالهم ، ودخل . . . . . المسوفى ، ووحَّد أهل طلياطة وحصن القصر وأهل الشرف ، وحين . . . . إشبيلية أعلم بذلك عبد المؤمن فسر به ، وأمر بوصول الشيخ أبى يحيى بن الجبر إليها معيناً لمن فيها من الموحدين ، فوصلها ، وسد خللها ، وثقف أعمالها ، واجتمع مع أبى اسحاق برأى وعن رأي واحد ، وسعد مساعد ، ناظراً فى المجابى ، شريكا فى التدبير والنظر للموحدين ، ناصحاً لهم ، ثم وفد عليه وفد أهل الغرب طائعين منيبين ، ثم ترادفت الفتوح من قبل الخليفة بمراكش ، فتوجه وفد اشبيلية إليه كما تقدم ، فأمر لهم بصرف أموالهم وضياعهم ، وبعد ذلك اعترضهم أبو إسحاق فى رجوعهم ، فرجعوا إلى عبد المؤمن شاكين به وبفعله ، فأمر باطلاق أيديهم ، وأمر أن يشتغل يوسف بن أحمد بالاحتساب بها ، ودامت الحـال شهوراً على خيرات وبركات إلى أن وصل عبد العزيز وعيسى أخوا المهدى ومعهما يصلاتن ابن عمهما .

قال أبو عبد الله محمد بن عبد الملك : لما وصل عبد العزيز وعيسى إلى اشبيلية مع عسكر من الموحدين الغازين نظر النـاس حيث ينزلونهم للسكنى ، فاتفق الرأي على حومة الجبانة من داخل إشبيلية ليكونوا قريباً من قصر ابن عباد حيث سكن أشياخ الموحدين أبو يحيى بن الجبر وأبو اسحاق براز الناظر فى المخزن بالأمر العالى ليتصل الموحدون بعضهم ببعض . فنزلوا فيها ، فلم يحفظوا سكناها ، وابتدأوا بحرق سقفها ، وعمل أصاطب من بيوتها لدوابهم ، وكانوا قوم

سوء ، ففسدت الديار فى أقرب مدة ، واستطالت أيدي أتباعهم على الأندلسيين المجاورين لهم ، ففروا أمامهم ، وساءت حال أهل إشبيلية بهم ، وعبد المؤمن لا يعلم ذلك حتى رفع له به ، فأمر بالكتب لبلاد الأندلس كلها التى كانت تحت طاعة الموحدين بتمشية العدل ورفع المظالم والجور .

وفى سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة خرج أمير المؤمنين أبو محمد عبد المؤمن ابن علي لغزو القبائل الثائرة وذلك لما تفاقم نفاق برغواطة ودكالة ويحيي الصحراوى عندهم ، فدوّخ عبد المؤمن أرضهم وبلادهم ، واستأصل طغاتهم ، وهزمهم فى كل موقف ، وسباهم وفرقهم أيادى سبأ ، وصيرهم أحاديث وأنباء ، حتى أذعنوا بالطاعة ودخلوا فى حزب الجماعة ، وفر يحيي الصحراوى عنهم ، وتبرأ من الشيطان ومنهم ، واختفى بحيث لا يعلم ، وجعل يتضرع إلى الأمر فى أن يعفو عنه ويسلم . فرجع أمير المؤمنين إلى حضرة مراكش منصورا ظافرا بعد ستة أشهر من خروجه منها . وبعد انصرافه توسط الأشياخ إليه فى يحيي الصحراوى فعفا عنه . وبعد هذه الحركة المباركة كان الخير إليه من كل جهة يصل ، والود بطاعته يتصل .

وأتته المخاطبات فى السنة بعدها من الأندلس بالرغبة فى الدخول إلى الطاعة ، وطاعت سبتة ، ووصل وفدها ، وكذلك وصل إليه أهل سلا ، فأمرهم بهدم سورها ، فهدم ، وصفح عن دمائهم .

وفى سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة أمر أبو محمد عبد المؤمن بالكتب للبلدان لما استقر بمراكش مُريحاً للنظر فى مصالح المسلمين وقوام أمر الموحدين . وكان رفع له أن المظالم قد ظهرت ، والقبالات فى الأسواق اشتهرت ، فكتب أبو جعفر بخطه عنه كتابا إلى الطلبة والأشياخ والحفاظ يأمرهم فيه بالمعروف وينهى عن المنكر وعن سفك الدماء ، فأجاد فيه ، وكانت الجودة فى معانيه ، وذلك بتاريخ الخامس عشر من ربيع الأول من هذه السنة المذكورة ووجه منه نسخا

كثيرة لبــلاد الأندلس والعدوة ، فجمعت هذه الرسالة قوانين العدل والفضل ، والسياسة والرياسة ، فكانت حجة بأيدى الناس ، ومؤمنة لهم من الباس . ولما وصلت هذه الرسالة إلى اشبيلية بحثوا على أهل الأشغال ، المتصرفين فى الأعمال ، وأخذوهم بالإقرار والاعتراف ، وبالغوا فى البحث عليهم والانصاف ، فقتلوا منهم رجلين ظهر عليهما الفسوق والظلم ، والفساد والإثم والجرم ، فوجد أحدهما غير مختون ، والآخر استرابت عليه الظنون ، وكانا يشتغلان بقبض الفطرة ، فظهر منهما الغش للخلافة والإمارة . . .

ذكر سبب كتب هذه الرسالة الى البلدان وبقية ما جرى باشبيلية وغيرها من الحوادث والأكوان

وذلك أنه لما رفع إلى عبد المؤمن ما فعــل عبد العزيز وعيسى أخوا المهدى بإشبيلية من استطالة أيديهما على أهلها ، وعلى الأندلسيين المجاورين لها ، وظهر من أخوى المهدى باشبيلية مذهب فى قتل الناس وإباحة الدماء ، وأخذ الأموال واتصال الاعتداء ، ثم تغيرا على البطروجي صاحب لبلة وعزما على الإيقاع به ، فعلم ذلك منهما ، ففر بنفسه عنهما ، فخرج من إشبيلية عند مغيب الشمس من اليوم الذى عزم على الفرار فيه ، فسرى ليلته وحصل فى لبــلة مع جماعة من أصحابه ، فثار بها وأمّن من كان بها من الموحدين وأخرجهم منها ، ووجه فى الحين إلى طلياطة وحصن القصر من ثقفهما وملكهما ، وأعلن بنفاقه ، وأعاد بين لبــلة وإشبيلية قبيح فتنته . واتصلت الفتنة منه ومن لمتونة أهــل قرطبة على اشبيلية أعظم اتصال ، على تكرير الأيام بالغدو والآصال ، مدة سنة اثنتين وثلاثٍ وأربعين إلى سنة أربع ، واتصلت الفتن بالعدوة والأندلس . ثم خالف ابن قسى فى مدينة شلب ، ونشأت الفتنة بين محمد بن على بن الحجام وبين أمير الغرب بمدينة بطليوس ، بسبب تغلب ابن الحجام على ابن وزير وإخراجه من مدينة بطليوس ، ثم تغلب ابن غانية على الجزيرة الخضراء ، وقام أهل سبتة على

الموحدين فقتلوا واليهم وأخرجوهم وثبت أبو الغمر بن عزون بشريش ورندة على طاعة الموحدين، وارتفع السعر بها وعظمت المجاعة بها، باتصال الفتن والتحامها. وامتنع على بن عيسى بن ميمون القائد من توصيل الأطعمة والأقوات إلى إشبيلية فى البحر، إذ كان قائد البحر مالكا له، لا تجرى جارية فيه خوفا منه، لاستباحته أموال التجار ودماءهم الذين يسوقون الأقوات ويتصرفون فى مصالح المسلمين، يقتلهم بسيفه، ويسقيهم الموت من خوفه. وبقيت إشبيلية محصورة براً وبحراً والنـاس بها فى شدة عظيمة من عدم القوت حتى بيعت خبزة بدرهم ونصف، وبيع قدح القمح بستة وثلاثين درهما، وباع الناس أموالهم بإشبيلية بالأيسر اليسير، واستوى الغنى بها والفقير، وبيع أصل زيتون بالشرف بنصف درهم، ودار تساوى مائة دينار بعشرة دراهم.

ولما اتصلت هذه الأحوال القبيحات، واشتدت الكربات . . . . . المجرمون عيسى وعبد العزيز ويصلاتن ابن عمهما بمن كان معهما من إشبيلية . . . . . . وجميع بلاده بما عنده من الفرسان والرجال، معيناً لهم . . . . على جهة مالقة . . . . جريز ضرا ولازموها شهوراً، ووصلهم فى البحر بالقطائع أبو محمد عبد الله بن سليمان معينا لهم حتى فتح الله الجزيرة على يد أبى الغمر بن عزون المذكور، وأخرج لمتونة عنها، وقتل أتباعهم، واستأصل اشياعهم، واتصل حال أهل إشبيلية على ما ذكرته من الشدة. ثم رجع أخوا المهدى ويصلاتن إلى مراكش، فبعث عبد المؤمن واليا على إشبيلية أبا يعقوب يوسف بن عثمان بعسكر من الموحدين، وبقى أبو إسحاق براز على شغل المخزن، وألفاها فى غاية من الشدة فى كل نوع، وقد اجتمعت عليها الفتن بكل جمع. فسكن روعة أهلها بعدله وساس أعاديه بدهائه وعقله، واجتمع ببراز الناظر فى المخزن، ففتح عليه أبواب السياسة، وأعانه الله على نصح الخليفة فى الرياسة، واتفق رأيهم على بناء قصبة بإشبيلية وعلى ترحيل الموحدين الساكنين بالجبانة إلى القصبة بسبب تشكى الناس من ضررهم، فأرغموا

على ذلك ، وحازوا موضعها الذى هى الآن فيه ، وأخرجوا أهلها عن ديارهم ، وعوضوهم فى المدينة أعواضاً من ديار المخزن مما لا يرضيهم ، وكان هذا على الناس أشد من قتل نفوسهم ، وزيادة فى كثرة همومهم وبؤسهم ، وهدموا سور ابن عباد وبنوا بأحجاره هذه القصبة ، ولم يزل الناس يتشكون من هذا العوض من الخليفة الأول والثانى والثالث وهم ينظرون لهم ، إلى أن طال الزمان ، وأرضاهم الاحسان .

وخرج أبو يعقوب بن سليمان المذكور إلى لبلة ، ففر البطروجى من الغرب وجهة شلب ، مقر ابن قسى ، فعسكر الموحدون ومن تبعهم من الرؤساء الأندلسيين فى فصل الشتاء والبرد ، فدوَّخ نظر يوسف البطروجى باغلياطة ونظرها ، ثم انتقل إلى لبلة وأقطارها ، ثم انتقل إلى جهة الغرب وأغار على طبيرة ونظرها، وتلقاه أهل مدينة العلياء بالتوحيد . . . بمدينة شنتمرية القائد عيسى بن ميمون والد القائد علي المذكور قبل هذا وال عليها ، فاتصل بعسكر الموحدين وغزا معهم جهة شلب ، فتعرضت لهم جماعة من أصحاب يوسف البطروجى ليدافعوهم عن جهة شلب ، فهزموهم واستأصلوهم ، وتمادى غزو الموحدين تلك الجهة حتى انكروا بلاد العدو غرب الأندلس ، وألزموهم عظيم الحرب والكرب ، وألح المطر عليهم فلم يمكنهم الرجوع إلى الطريق الأول لامتلاء الأودية وحملها ، وثقل الأرض ووحلها . فلما انصرف الموحدون على جهة بطليوس ، وعلم بهم محمد بن على بن الحجام صاحب بطليوس فى تلك الأيام ، أوصلهم بالقوارب وأجازهم على الوادي وحَفِلَ بهم بالتضييف الحافل من كل جانب ، فرعى له ذلك ، وعد له أنه عهد ، وسالموه فى طريقهم ، ولم يروعوا له سربا لأجل توفية حقوقهم ، ووصلوا إشبيلية موفورين منصورين . . . . .

كتاب من الخليفة عبد المؤمن لأبى يعقوب ، شكره على غزوته هذه جواباً على خطابه ، يذكر له فيه : وصل كتابكم الأثيل مضمنا من الإعلان ما سنّى

الله للموحدين من الفتح الجليل ، والصنع الجميل ، فى الجملة والتفصيل . . . . .
قرطبة فتغلب على يحيى بن على بن غانية بقوته وشوكته حتى أعطاه بياسة وأبدة ، وبعث الروم على مدينة أشبونة وطرطوشة ولاردة وافراغة وشنتمرية ، واستولوا على جملة من بلاد الأندلس ، فداخل ابن غانية صاحب قرطبة براز ابن محمد صاحب إشبيلية أعادها الله للاسلام .

ذكر دخول الموحدين قرطبة وقرمونة وخروج ابن غانية عنهما ووفاته فى هذه السنة

لما وقعت المداخلة والمواصلة بين الموحدين وبين يحيى بن غانية برأي أبى اسحاق براز بن محمد ونهجه واجتماعه معه باستجة ، وذلك أنه لما تسلط أذفونش على ابن غانية ولم يرض منه بما اتفق معه من الإتاوة التى كان يعطيه كل عام ، طلب منه قرطبة أن يعطيها له ، وقال له ، إنما أنت عاملى عليها وأنا ملكتك إياها يوم إخراجى ابن حمدين عنها ، فأنف من ذلك ابن غانية أنفة المؤمن وراجع نفسه إلى حماية الموحدين ، فوجه إلى أبى إسحاق براز بن محمد أن يجتمع معه ، فحين وصل الخبر إلى براز المذكور ، سار إليه واجتمع معه باستجة ، وانفردا فى المناجاة بينهما ، مدة يومهما فبين عليه أبو إسحاق فضل الخليفة عبد المؤمن ومذهبه فى نصر الدين بهذه الجزيرة المنقطعة وقمع الكفار عنها ، واتفق الصلح بينهما ، وضمن له أبو إسحاق براز أنه يوجه له عساكر تحمى بلاده ويكونون أعوانه وأجناده على أن يمكن أبو زكرياء المذكور الموحدين من قرطبة وقرمونة ويسكن ابن غانية مدينة جيان عوضا عن قرطبة وقرمونة . فاتفقا على ذلك وانفصلا على هذا الصلح والعهد ، والربط على الوفاء والعقد . وعند انفصالهما خاطب أبو اسحاق براز عبد المؤمن بوصف الحال ، وبتأدي أبى زكرياء ابن غانية إلى الطاعة ، وصفاء مذهبه فى الدخول فى هذا الأمر السعيد ، واستأذن أبو اسحاق فى المشى إلى الحضرة يشرح الحال مشافهة فأذن له فى الوصول ، فوصل مستعجلا .

ثم صرفه عبد المؤمن معجلا ، وخاطب معه أبا زكرياء المذكور مستدنيا ومواصلا ، ومنجزاً له من العدات والخيرات فوق ما كان آملا .

ولما وصـــل كتاب أبي محمد عبد المؤمن إلى ابن غانية المسوفى صاحب قرطبة وما يليها من البلدان ابتهج وزاد سروره ، وقوي فى ذات الله عزمه وظهوره ، فتخلى له الموحدون عن مدينة جيان ، وشاع الخبر عند أذفونش والنصارى بذلك ، فجمع عسكره الذميم وخرج به محاربـاً لأبى زكرياء المذكور ، وطلب منه أن يعطيه جيان ، وإلا أغار عليه فيها ونازلها بأعداده ، فلم يمكن ابن غانية إلا أن ينعم له بها وهو يظهر خلاف ما يبطن ، ولم يطلع أحد على سر الله عز وجل . فاستعجل اذفونش بجمعه الذميم ونزل على ستة أميال من جيان ، وطلبه بانجاز وعده ، فعزم يحيي رحمة الله عليه على الوفاء لله تعالى فى الذب عن حريمه وحرمه ، فوثب الفرسان والرجال والمشاة الأبطال على أبواب المدينة وحصن القصبة بالثقاب وأكمل عزمه . . . . اذفونش أن يوجه . . . . وبعد ذلك يصل هو . . . . بأندلس . . . . . وقصدوا الموضع الذى كان فيه ابن غانية واقفاً بباب القصبة فقبض على جميعهم تقبض ملك مقدام ، فارس شهم همام ، وقيد جميعهم فى الحديد والكبول ، واحتملوا إلى سجن القصبة المانعة على أسوأ محمول ، وجاهد فى الله جهاداً مبروراً ، ولقى بذلك من ربه نضرة وسروراً .

واتصل خبر هذه البطشة فى الحين ، باذفونش اللعين ، فأقلع مرتاعا فزعا وانصرف على طريق بياسة ومنها إلى بلاده قشتالة ، وانتقض ما بينه وبين ابن غانية من عهد ، ولم يكن بينهما اجتماع أبداً بعد . ولما كمل له بعون الله مراده ، ورجع له عند الله جهاده ، احتملهم مكبولين إلى قلعة بنى سعيد وفى نيته ما ارتبط عليه من الوفاء للموحدين ، وطاعة أمير المؤمنين ، وسار منها إلى غرناطة ليجتمع مع من بها من اللمتونيين ، ويربطهم بما ارتبط ، ويشترط عليهم ما اشترط ، فأقام بغرناطة نحو شهرين ، وتوفى بها عصر يوم الجمعة الرابع عشر من شعبان

المكرم من سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ودفن بالمسجد الصغير المتصل بقصر باديس وأُلْصِقَ قبره بقبر باديس بن حبوس .

ولما وصل خبر موته إلى صاحب القلعة أبى مروان بن سعيد قائد ابن غانية وأمينه دخل إلى الاقماط المسجونين عنده ، وأعلمهم بموت ابن غانية وارتبط معهم على أنه إن حلهم تكون القلعة بيده كإحدى بلاد النصارى ، فضمنوا له ذلك .

وخاطب أبو إسحاق براز بن محمد الأمير عبد المؤمن بما كان من هذه الحوادث ، فجاوبه على ذلك . ولما علم أذفونش بموت ابن غانية زاد طمعه فى قرطبة وانظارها ، فحشد جميع الكفار ببلاده لمنازلتها ، وأعلم الموحدون حضرة أميرهم بذلك واستغاثوا بالله تعالى وبه ، فوجه لهم عسكرا مع أبى محمد عبد الله بن أبي بكر رحمه تعالى ، ثم والى نظره بعد هذا بتوجيه عسكر إثر عسكر واجتمع رأى الموحدين بإشبيلية لما تحققوا احتشاد الطاغية أذفونش لمنازلة قرطبة أن يوجهوا إليها أبا الغمر بن عزون لعلمهم بنجدته وشجاعته ، فتوجه إليها .

ولما علم بهذه الشدة يوسف بن أحمد البطروجى بلبلة رغب إلى الموحدين أن يعينهم بجملة من فرسانه يمشون مع ابن عزون إلى قرطبة لحرب الروم ومدافعتهم ، فقبل ذلك منه فوجه أربعمائة فارس من أنجاد أصحابه ، فكان له ذلك عنوان قبول ، فى رجعته إلى الطاعة ومأمول ، وأعلم الموحدون الذين باشبيلية أميرهم بمنازلة اذفونش قرطبة ، فأزعج عسكرا صحبة أبى زكرياء بن يومور . ولما وصل أبو زكرياء بن يومور بعسكر الموحدين إلى اشبيلية اجتمع مع إخوانه الذين كانوا بها ، وتشاوروا كيف يكون السلوك إلى قرطبة ، إذ العدو منازل جوانبها ، فرأوا أن يكون السلوك إليها على الجبل لكيلا يكون عند الطاغية خبر منهم حتى يدخلوها ، فاستجازوا على ذلك وسلكوا الطريق الكبير . فلم يعلم

العدو بخبرهم حتى دخلوها ليلا ثم برزوا من الغد عليه تبريزاً اذهله ، واذهب طمعه فيها وهاله وأقام قليلا من الأيام وأقلع خائباً لم يحظ بنيل مرام وكان بقرطبة مدة حصارها مجاعة عظيمة أكلوا . . . . بعد اقلاع العدو عنها واقفرت ثم . . . . . ولما فرغ أبو زكرياء ابن يومور من محاربة العدو المذكور وصله خطاب يوسف بن أحمد البطروجى راغباً ثم وصل بنفسه إلى إشبيلية متطارحاً طالباً أن يشفع له عند الخليفة وأن يرجع تحت طاعته وأن يعفو عنه فيما جناه من الفتنة وكذلك رغب فى أحمد بن قسى خليله وفى محمد بن عبد العزيز خدينه فخاطب فيه أبو زكرياء المذكور بما رغب فيه وأوصل الأمانة عنه بما طلب فوصل الأمر بالعفو عنه وعن صاحبه وكان سدراي بن وزير قد قبض يده مدة ارتداد الثوار عن فتنة الموحدين وأمسك نفسه عن مقابحتهم واشتغل بمحاربة ابن قسى ودفاع البطروجى ومغالبة محمد بن الحجام فلم يكن للموحدين قبله حقد ولا ثبت منهم عليه نقد فلما وصل أبو زكرياء بن يومور بالعساكر بادر بالخطاب إليه والى أبى اسحاق براز بن محمد بالاعتذار عن توقفه والاستغفار عن تخلفه فسعيا له أحسن السعى فى ذلك كله .

وفى سنة أربع وأربعين وخمسمائة ، فى آخرها ، قام سدراى بن وزير إلى إشبيلية ، فبادر إليها بنفسه ، فاجتمع بهما فيها . ثم توجه منها بنفسه وأهله وماله إلى حضرة مراكش ، ولما وصل إليها قبله أمير المؤمنين أبو محمد عبد المؤمن ، وتخدم له الوزير ابن عطية حتى خف جانبه وشكر له بداره ، ثم تلاه أبو الغمر بن عزون ، ثم تابعهما يوسف البطروجى ملقيا بنفسه ، تائباً عما جناه من قبيح الفتنة فى أمسه ، واجتمع الكل بحضرة مراكش . ثم نظر الأمير أبو محمد عبد المؤمن فى الحركة إلى مدينة سلا . . . . . وفى سنة خمس وأربعين وخمسمائة تحرك أبو محمد عبد المؤمن من مراكش إلى مدينة سلا ليتطلع منها على أخبار الأندلس ، فلما وصل إليها رأى أن يجرى ماء عين غبولة إلى مدينة المهدية وهى رباط الفتح من سلا ، فأمر بإحضار الفعلة ،

وأجرى الماء حتى أوصله إليها فى شهرين اثنين ، وأمر باستدعاء شيوخ جميع الأندلس الذين تحت طاعته ، فوصل كتابه إلى أهل إشبيلية . فخاطبوا أهل قرطبة وأهل بلاد ابن وزير والغرب وبلاد الجوف وبلاد ابن قسى والبطروجى ، فوصلو إلى إشبيلية مسرعين مبادرين ، واجتمع الجميع بإشبيلية ، وتحركوا منها فى الخامس عشر من ذى الحجة ، وسلكوا طريقاً إلى شريش ومنها إلى طريف ، وتلك النواحى كلها مقفرة لا سكنى بها ولا عمارة لقرب الفتنة المهلكة لأهل الأندلس ، فأجازوا البحر وأخذوا الطريق إلى سلا .

قال ابن صاحب الصلاة : فمررنا فى طريقنا على قصر عبد الكريم وليس فيه إلاّ القليل من الناس فى خيمات وحانوت واحد كان سوقهم به ، والأسود تزأر حواليه والأرض موحشة قفرة ، أخلاها تهارج الفتن . فوصلوا إليها فى السابع والعشرين من ذى الحجة وهم فى نحو خمسمائة فارس من الشيوخ والأجناد والقواد ومن تبعهم من رجالهم . فأمر الأمير عبد المؤمن . . .
على ميلين من سلا فنزلوا إليهم وسلموا . . . .
والدعاء لهم ولخليفتهم بما حضر من الكلام . وبعد هذا نزل جميع الوفد فى الديار وأدرت عليهم الضيافات أتم إدرار . . . .

وفى سنة ست وأربعين وخمسمائة فى أول يوم من هذا العام المؤرخ أمر أمير المؤمنين الوافدين بدخولهم إليه وسلامهم عليه ، فى رحبة دار ابن عشرة وهو جالس على حصير فى الرحبة المذكورة وعليه غفارة زبيبية ، وعلى رأسه عمامة صوف ، والوزير ابن عطية يقدم إليه يسميهم . فأشار ابن عطيه بالتقدم فى الكلام ، فتقدم قاضيهم أبو القاسم بن حجام ، فقال فى أثناء كلامه : إن أذفونش لعنه الله بعد ما تنحنح وسعل ، ودبر وبهر ، فغلط فى مقاله عوضاً عن اللعنة بالتأييد ، ثم قال إنه أضعف بلادنا وأفقرها . فعلم الخليفة أنه أخطأ ، فسكت وأعرض عنه ، وخجل جميع الوفد من مقاله ،

وبهت من حاله ، فتلافى الناس فى المجلس الفقيه أبو بكر بن الجد ، فخطب فى الحين خطبة بليغة ذكر فيها أولاد الأمر العزيز والدعاء للخليفة وما يجب من البدار إلى طاعته ، والدخول فى جماعته ، وتكلم رؤساء المجلس واحداً واحداً ، ثم انفصل المجلس فى ذلك اليوم ، ووعد الناس بالرجوع إلى المجلس والتكرار فى اليوم الثانى للمبايعة ، فحضر جميع الوفد ، ودخلوا على سبيل الدخول .

ذكر بيعة رؤساء الأندلس الوافدين على عبد المؤمن بمدينة سلا وانخلاعهم له

لما دخلوا على أبي محمد عبد المؤمن بادر أبو محمد سدراي بن وزير أولا وبايع على الإنخلاع من بلاده باجة ويابورة وأنظارهما ، فشكر على فعله ذلك . وأراد البطروجى أن يتكلم فلم يقدر على النطق ، ولا شرح بيان الحق ، فنفد عليه توقفه ، وتبين تحرجه ، لكن أمير المؤمنين رفع رأسه للناس وقال مشيراً إليه : هذا أبو الحجاج صاحبنا بالشرف . فلم يشكره على ذلك ، ولا قبّل يده . ثم قام ابن عزون وبايع على الإنخلاع من بلاده ، وكذلك محمد بن الحجام ، وكذلك عامر بن مهيب صاحب طبيرة ، وكذلك بايع جميع من حضر من الثوار ، وتخلف ابن قسى وأشياخ بلده شلب عن هذا الجمع ، ولم يحضر من ينوب عنه ، فظهر للخليفة فساد مذهبه وارتداده . ثم دخل سائر الناس من الوافدين واحداً بعد واحد حتى أتموا ، وكان السبق لأهل إشبيلية . وتكلم بهذا المجلس كل من أراد أن يتكلم من الأشياخ والأجناد ومن سائرهم ، ولم يعتب أحد عليهم ولو تكلم بكلام سخيف ، أو تظلم بطلب ضعيف ، وأنشد من الشعراء من أراد . وأمر جميع الوفد بالإنصراف إلى بلادهم بعد إقامتهم خمسة عشر يوما . . .

وخاطب أبو محمد عبد المؤمن الأشياخ والطلبة الذين بإشبيلية بوصف الحال، وبما يبلغ الأمل للآمال . وبعد انصراف هذا الوفد تحرك أمير المؤمنين راحلاً إلى مراكش حضرته ، وانصرف معه ابن وزير على أملٍ وجذلٍ وعدّةٍ كريمة مبرورة ، وخاطب أخاه أن يمكِّن الموحدين من بلاده ، فامتثل ذلك وفعل . وأمر البطروجى فصرف مهجوراً إلى مراكش . . . لبلة من التمادى على الارتداد ما أوجب سجنه . . . الغلبة عليهم . . . بن عيسى . وفى هذه السنة حاصرت العرب . . . وضيّقت عليهم . وفيها أخذ مؤنس بن يحيي العربى مدينة باجة وأطاعه أهلها .

وفى سنة سبع وأربعين وخمسمائة شرع أمير المؤمنين عبد المؤمن فى الحركة إلى بجاية وأنظارها على ما أذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر حركة عبد المؤمن الى بجاية واستيلائه على مملكة بنى حماد وبلاد متيجة وتيسير ذلك

فالعجب العجيب لما أراد الخليفة عبد المؤمن غزو بنى حماد استسر ذلك مع خاصته ووزرائه ، منهم أبو ابراهيم وأبو حفص وغيرهما ، وأظهر لهم ما فى طيِّ نفسه من ذلك ، فاشتغل باحتشاد قبائل الموحدين من جبالهم ، وخرج من مراكش فى أواخر سنة ست الفارطة مظهراً للناس غزو الروم بجزيرة الأندلس . فلما وصل إلى سلا ، أقام بها شهرين يردِّدُ الرأى فى نفسه ، ثم توصل منها إلى سبتة مظهراً للناس الاجازة إلى الأندلس . واستدعى من له من العمال بإشبيلية وأنظارها ، فوصلوا إليه ، واستوضح مسائلهم . ثم رحل منها راجعاً مظهراً الانصراف إلى مراكش ، وأشاع الذكر بذلك للناس ، ومقصده فى نفسه ونفس خاصته بجاية وبلاد إفريقية . وكان حين حركته هذه من مراكش خاطب عامله على تلمسان وهو ابن واندين يأمره بمنع التجار المسافرين

من التصرف والتحرك إلى إفريقية براً وبحراً لأجل الإخبار ، بانتقال المسافرين والتجار . فامتثل ذلك والتزم الأمر فى فعله هنـاك . ولما فصل من طنجة أخذ على قصر عبد الكريم على طريقٍ جعـل فيه فاساً على يمينـه ، وأخذ قاطعا إلى الشرق ، ونادى منادى المحلة عن أمره : أيها الناس — من تكلم منكم بكلمـة معـناها أين هو المشى هل إلى الشرق أو إلى الغرب أو القبـلة فجزاؤه السيف . . . ثم تحرك إلى جهة بجاية مستعجلا فى الرحيل ، على أول غرضه من التأميل ، فما شعر ابن حماد صاحب بجاية ، المعروف بالعزيز ، حتى وصل عامله بالجزائر بعد ما خرج منها ودخلها الموحدون ، فصبح بجاية فى إثر ذلك . وعلم بوصوله أبو عبد الله بن ميمون المعروف بابن حمدون . وقد كان بينه وبين أبى محمد عبد المؤمن عهد على ذلك وموافقة ، ففتح له باب مدينة بجاية ، وقد كان ابن حماد حين وصله مستتنا به من الجزائر نظر فى قطعة من قطع البحر وركبها لعبوره ، ورآها مفزعة لذعره ، وأضاف إلى القطعة المذكورة قطعتين اثنتين ملأهما بجميع ذخائره من الجوهر والياقوت والذهب الصامت والآنية والثياب وغير ذلك ، وأدخل فيها عياله وقذفت فى حينه بذلك إلى . . . وكان فيها أخوه شقيقه ، فأحس منه غدره ، فرحل عنه فى البحر ، ووصل إلى مقربة من قسنطينة ، وأقام بها حتى نازله الموحدون وحاصروه بها مدة ، فرغب فى الأمان . . . .

لعدله ، واثقاً بفضله ، فلقى من . . . . ما أنساه . . . وانتقل بأثقاله ، وأحمال ماله ، وجميع أهله وعياله ، مع المحلة إلى مراكش ، فأعطاه الديار والأموال ، وتمم له الآمال ، ودام هو وبنوه تحت أنعام واكرام ، حتى انقرضوا بعد هذا بسنين . وبعد استقراره بمراكش ، وتوالى سيل النعم عليه من الخليفة بآلاف الدنانير والهبات الجزلة ، وإحضاره للمذاكرة فى مجلسه العالى ، اشتغل بالطراد والصيد ، وتخامل وتجاهل ، واستعمل شباك الحديد لصيد الأسود الضوارى ، فكان يتحيل عليها فيصيدها ويدخلها فى أقفاص حديد ويسوقها إلى عبد المؤمن

ويتحفه بها ، فتعقر بحضرته على معنى الملاعبة والمطاردة بين يدى الملوك ، وكان يعطيه على كل أسد يصيده ألف مثقال . واستاق ابن حماد المذكور فى بعض الأيام شبل أسد صغير وأدخله إلى الخليفة فى مجلسه ، فأمر بحل الشبل من عقاله ، فمشى الشبل بين النـاس يخترق الصفوف حتى وصل إلى الخليفـة فربض بين يديه ، وسكن لا يتحرك من موضعه ، فعجب الناس من ذلك . وكان قد سبق إليه فى ذلك المجلس زرزور فتكلم بين يديه بأنواع من الكلام . فارتجل أبو على الأشيرى أبياتاً من الشعر فى صفة الحال بالمجلس المذكور وهى :

أنس الشبـل ابتهـاجاً بالأسد ... وأرى شبه أبيه فقصـــدْ
ودعا الطـــائر بالنصر له ... فقضى حقــكم لمّـا وردْ
أنطـق الخـــالق مخـلوقاته ... بالشهادات فـكلٌّ قـد شهدْ
أنك القـــائم بالأمر لـه ... بعد ما طال على الناس الأمدْ

رجع الخبر . ولما استولى أبو محمد عبد المؤمن على بجاية وأنظارها ، وجمع أقطارها ، كان ميمون وزير ابن حماد قد فر إلى قبـائل العرب بنى سليم ، فكتب إليه بالأمان ، والعدل والامتنان ، فوصل من فوره ولقى ما وعد به وسعد بمذهبه .

وكتب أبو محمد عبد المؤمن رسالة فصيحة إلى أهل العدوة والأندلس ، فوصف فتح بجاية بخط أبى جعفر بن عطية أبدع فيهـا غاية الإبداع ، ووفى شرح هذا الفتح بمـا أبهج القلوب والأسماع ، وبعث بها إلى سائر الأصقاع .

ذكر سبب هجر عبد العزيز وعيسى أخوى المهدى ومقتــل يصلاتن صهرهما وصلبه

وذلك أن أمير المؤمنين عبد المؤمن لم يزل من وفاة المهدى يأتلف عبد العزيز وعيسى ويحسن إليهما وإلى يصلاتن معهما بالإحسان التام ، والإنعام

العام ، وهذا يصلاتن يغريهما ، ويوقد نار الحسد فى جوانحهما ، ويجعل نقض العهد وخلع الطاعة غذاء بجوارحهما ، وإذا دخل مجلس الأمر العالى دخل قطيباً ، وإذا خرج خرج غاضبا ، فيستريح بذم الأمر بالتصريح ، وينسب إليه كل قبيح ، حتى فشا سره وسر أصحابه ، ووضح وضوح الشمس غدره وغدر أترابه ، وتبين مكره ، فطُلب وأُخذ بعد طول إذاية وسجن .... فلما كان إيابه من الغزوة المذكورة .... عليه بإمضاء حد الحسام .

... على جذع بمرأى من جميع الأنام . ولما كان ... هذا اليصلاتن أظهرت نفوسهم الخبيثة ما فى طيها من إرادة النفاق والانتكاث ، وأطمعتهم فيما لم يستحقوه أضغاث الأحلام ، فبسطت بهم بعد ذلك حوادث الأحاديث ، إنصافاً على ما كانوا طبعوا عليه من دبيب عقارب الحسد ، وكش للأمر العالى أفاعيهم بكل رصد . فاعتقلوا بعد الهجر ، ثم سرحوا ، ووصلوا إلى فاس ، وأعطوا ومنحوا فلم يقنعوا ، فكان من حديثهم ما يطول فيه البيان ، فقُتلا وصُلبا فى جذعين فى ذى القعدة عام ثمان وأربعين وخمسمائة على ما يأتى ذكره فى موضعه .

وفى سنة سبع وأربعين وخمسمائة كان وصول أبى محمد عبد المؤمن إلى مراكش حضرته من حركة بجاية ، فلما استقر بها وفد الناس إليه من جميع بلاده مهنئين له بإيابه ، وبما منحه الله من الظفر بإعدائه ، ويسر له من طلابه مستبشرين بيمن سلامته ، وعودته إلى مقر خلافته ووفد وفد إشبيلية فى جملة من وفد وورد ، وفيهم القاضى أبو موسى عيسى بن عمران رحمه الله تعالى ، فأنشد فى معنى التحريض على البيعة للسيد أبى عبد الله بن الخليفة عبد المؤمن وهى :

طال انتظار العالمين لبيعة فقلوبهم كالنار ما لم تعتقد
فليوزينك الله بعد تمامها عمرا يطول بنصر دين محمد

إن قيل من للأمر واحتفل الورى لأجاب كل بالجواب الأقصد
إن الخلافة قد تبين نورها للناظرين على جبين محمد
ذاك الذى أعطت كتيبتك اسمه ليحوز أكرم غاية للسؤدد
فرع غذاه العلم من له نشأة حتى استوى وعاد منار المهند
ما عذر من فوق الكواكب أصله ألا ينال العلم أخذا باليد

فاستحسنها أمير المؤمنين ، وكانت حاجة فى نفس يعقوب ، فأعربت له عن ضمائر القلوب ، وشاع قبول هذه الأبيات عند أشياخ الموحدين ، فتكلموا فى ذلك بإجماع وإصفاق ، وقالوا إن القول قولهم على أصح اتفاق ، وبادر الناس من طلبة الحضر والأشياخ بالرغبة فى . . . هذا الخبر وتوالت الرغبة يوماً بعد يوم وصرحوا أن السعد لهم فى انتظامهم الأمر العزيز بالعهد الكريم . فقبل أمير المؤمنين منهم ، واستحسن القول عنهم ، ووفدت الشعراء للتهنئة بفتح بجاية ، فمنهم أبو عمر بن حزمون قال من قصيدة طويلة يمدحه ويذكر وقعته فى العرب :

إلى هذه كان انتهاء المطالب فسقيا ورعيا بعدها للراكب
فيانعمة كانت من الله نقمة على كل مغرور عن الحق ناكب
وصيرنا بيض الهند حمرا كأنها سفر إلينا عن خدود الكواعب
وقائع غارت فى البلاد وأنجدت فمد يدا للسلم كل محارب
فأيقن مرتاب وءامن كافر وتبت إلى العاصى بسيرة تائب
فكيف يطيق الناس من شكر جنابكم وأمرهم من بعض تلك المواهب

وفى سنة ثمان وأربعين وخمسمائة تحرك أبو محمد عبد المؤمن من حضرة مراكش إلى مدينة سلا ليشيع كبراء العرب الوافدين عليه بالطاعة مع بعض أمرائهم من إفريقية ، وفى نفسه أن يربط العهد الميمون الطاهر المصون ، فلما

وصل سلا انعقدت البيعة لابنه محمد على أوفى شروطها وربوطها ، وأمر بالكتب في وصف الحال ورغبة الموحدين في البيعة المذكورة المؤذنة لهم ببسط الآمال ، وذلك من إنشاء ابن عطية ، فوصلت البيعـات من كل الجهات ، ووفدت الشعراء من الأندلس للتهنئة على هذه البيعة السعيدة ، فمنهم أبو الوليد اسماعيل ابن محمد الشواش فقال في قصيدة :

أجاب به داعى الحياة متوبا ... فبادره واستنجد الريح مَرْكبا
إمامُ هُدى يدعو إلى الحق معلنا ... فيا فوز من لبى ويا ويل من أبى
خليفـة مهديِّ الورى وأمينـه ... تولاّه المحيـا ووالاه معقّبا
حواه أمين للامـامة حـافظ ... وأدى حقوق الله فيه وأوجبـا
وأنجزه فى الفتح صادق وعـده ... فمكنه فى الأرض شرقا ومغربا
لقد رَضِيَتْ فيك الخلافة مُرتضى ... لما أوجبت فيك الديانة مجتبى
وبالأمن والإيمـان والفوز والرضا ... ولاية عهد تطلع السعد كوكبـا
ونوجيت بالأمر الذى قررت بعمله ... فأمضيت أمراً كان أولى وأوْجُبا
هو الملك الميمون فى مطلع الرضا ... أنار وفى حجر المعالى ترتبـا

. . . . . .

ويكفيه فخرا يضمن الفضل والنهى ... بأن كان منك ابنا وكنت له آبا

ومدحه جماعة من الشعراء القصاد فهنؤوه بالبيعة المذكورة وغَلبته على بنى حماد .

ولما كملت رغبة الموحدين بالبيعة للابن أبى عبد الله محمد ، وأخذوا بيده . وارتبطوا بالمعاهدة ، رأوا أن العزة تابعة لهم فى تولية السادات البنين ، وأن الخير لهم فى ذلك وللمؤمنين ، يوالون الرغبات فى تولية هاته الولايات ، فقبل منهم ما باشروا به من رغباتهم ، وأسعفهم فى طلباتهم .

ذكرى ولاية السادات الأكرمين أولاد الخليفة
أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي

ولى السيد الأعلى أبو حفض مدينة تلمسان ، وتوجه معه أبو محمد بدو عليها ، وصهر الخليفة ، وعبد العزيز من عباس . . . . باله ، وولى السيد أبو سعيد غرناطة ، فمشى معه الشيخ أبو عبد الله بن سليمان وأبو سعيد عثمان بن ميمون الصنهاجى ، ثم انضاف بغرناطة عند مشى السيد إليها أبو يحيى بن يجيت ، ومن الكتاب أبو الحسن بن العودوس ثم ابن طفيل ، ثم أبو بكر بن حبيش الباجى ، وتوجه السيد الأسنى أبو محمد عبد الله إلى بجاية ، وسار معه على معنى التدريب الشيخ أبو سعيد يخلف بن الحسين . وولّى السيد أبو الحسن على مدينة فاس ، فسار معه وزيراً يدربه أبو يعقوب يوسف بن سليمان ، ومن الكتاب أبو العباس بن مضاء يعلمه ويقرأ عليه .

رجع الخبر لسبب مقتل أخوى المهدى رحمه الله تعالى

لما كملت البيعة لولى العهد أبى عبد الله واتصلت بها الولايات للسادات دبت عقارب الحسد فى قلوب عبد العزيز وعيسى . . . .

أربع رسائل دبلوماسية

من ملوك غرناطة إلى ملوك أراجون

وقعت خلال بحوثى فى محفوظات التاج الأرجونى ببرشلونة Archivo de la Corona de Aragón على عدة من الرسائل الدبلوماسية التى بعث بها ملوك غرناطة إلى ملوك أراجون ، أضع منها اليوم تحت أنظار الباحثين أربع رسائل ، أرسلت إلى ملوك أراجون فيما بين سنتى ٧٢١ و ٧٣٨ هـ (١٣٢١ — ١٣٣٧ م) فى عهدى السلطان أبى الوليد اسماعيل المتوفى سنة ٧٢٥ هـ (١٣٢٤ م) وولده السلطان يوسف أبى الحجاج المتوفى سنة ٧٥٥ هـ (١٣٥٤ م) .

ويجب أن نلاحظ أولا أن العلائق بين مملكة غرناطة ومملكة أراجون ، كانت فى معظم الوقت علائق مهادنة وسلام ، ولم تكن تكدرها من آن لآخر سوى أحداث صغيرة . ويرجع ذلك أولا إلى ضيق مدى الحدود بين الدولتين ، حيث كان يفصل بين حدود أراجون الجنوبية الغربية وحدود مملكة غرناطة الشرقية ، شريط قصير من الأرض ، ليس وراءه مدن أو معاقل سوى مدينة لورقة الحصينة ، ومثلث مرسية ولقنت وأوريوله . ولم يكن لمملكة أراجون يومئذ أطماع إقليمية فى مملكة غرناطة ، بعد أن وضعت يدها على سائر قواعد الأندلس الشرقية ، وفى مقدمتها بلنسية . وكانت هذه الأطماع كلها تنحصر يومئذ فى مملكة قشتالة الكبيرة القوية ، التى تجاور مملكة غرناطة من الشمال على طول حدودها ، ومن الغرب جنوباً حتى أرض الفرنتيرة والجزيرة الخضراء .

ومن ثم فإن هذه الرسائل الغرناطية الموجهة إلى ملوك أراجون ، تتعلق أولا بمسألة عقد الصلح بين غرناطة وأراجون . والرسالة الأولى من الرسائل الأربعة ، مؤرخة فى الثامن عشر لشهر ربيع الأول سنة ٧٢١ هـ (١٣٢١ م) ،

وقد كتبها باسم السلطان أبى الوليد اسماعيل ملك غرناطة ، شيخ الغزاة عثمان بن إدريس بن عبد الحق ، إلى دون خايمى الثـــانى ملك أراجون (والمسمى فى الرسالة بدون جيمى) وتتعلق بعقد هذا الصلح ، والتنويه بأهميته فى « تأمين البلاد والعباد ، وكف الأضرار » ، والرد على الرغبة التى أبداها ملك أراجون فى خطـابه الذى أرسله على يد مبعوثه فى تحقيق هذا الصلح . وقد عقد هذا الصلح بالفعل فى سنة ٧٢١ هـ ، بين الفريقين لمدة خمسة أعوام ، ونص فيه على أن تؤمن أراضى المسلمين بالأندلس.، وأراضى أراجون تأميناً تاماً براً وبحراً ، وأن تباح التجارة لرعايا كل من الفريقين فى أرض الآخر ، وأن يتعهد كل من الملكين بمعاداة من يعادى الآخر ، وأن لا يأوى له عدوا أو يحميه ، وأن تكون سفن كل فريق وشواطئه ومراسيه آمنة ، وأن يسرح كل فريق من يؤسر فى البحر من رعايا الفريق الآخر . وتضمنت المعاهدة أيضاً نصاً خاصـا بتعهد ملك أراجون بألا يمنع خروج المدجنين من أراضيه إلى أراضى المسلمين بأهلهم وأولادهم وأموالهم ، وهو نص يلفت النظر ، إذ كان المدجنون فى هذا العصر يؤلفون جماعات كبيرة فى بلنسية ومرسية وشاطبة وغيرها من القواعد الشرقية ، وكان ملوك أراجون يحرصون على بقائهم وعدم هجرتهم ، لأسبـاب اقتصادية وعمرانية .

ووجهت الرسائل الثلاثة التالية ، وهى مؤرخة على التوالى فى سنوات ٧٢٦ و ٧٣٥ ثم ٧٣٨ هـ ، وجهت من السلطان يوسف أبى الحجاج ، الذى خلف أباه السلطان أبى الوليد اسماعيل فى سنة ٧٢٥ هـ (١٣٢٤ م) ، الأولى إلى دون خايمى ملك أراجون و « سلطان بلنسية » ، وقمط برشلونة ، وصاحب قرسقه . ومما هو جدير بالذكر ، ان تلقيب ملك أراجون فى نفس الوقت « بسلطان بلنسية » يرد فى سائر الرسائل ، وهو ما يدل على أهميـة هذا اللقب بالنسبة لملوك أراجون ، إذ كانت بلنسية ، لأهمية موقعها فى وسط الشرق الأندلسى ، وعظمة رقعتها ، ووفرة سكانها ورخائها ، تعتبر درة مملكتهم بعد برشلونة العاصمة .

وتتعلق الرسالة الثانية المؤرخة فى سنة ٧٢٦ هـ (١٣٢٥ م) بتجديد معاهدة الصلح التى سبقت الاشارة إليها ، تحقيقاً لما رغبه ملك أراجون فى رسالته التى

حملها إلى غرناطة رسوله خوان انريق ، وقد وافق سلطان غرناطة أولا على تجديدها ، وبعث بنسخة عقد التجديد مع الرسول الأرجونى ، كما بعث معه بأربعة من النصارى الذين كانوا فى الأسر . وهو يطالب ملك أراجون من جانبه ، بأن يوجه إليه « المسلمين » الذين أسرتهم السفن الأرجونية فى « سلوة الدعدع » ، وأن يعمل فى ذلك ما يقتضيه « وفاؤه الصادق » . ويطالب فى نفس الوقت برد اثنى عشر شخصاً من أهل المرية ، أخذوا أسارى ، وأن يأمر ملك أراجون « بكف الضرر » عن الأراضى الإسلامية وفقاً لما يتصف به من الوفاء ، وحفظ العهد .

وفى الرسالة الثالثة المؤرخة فى سنة ٧٣٥ هـ (١٣٣٤ م) ، وهى رسالة موجهة كذلك من السلطان يوسف أبى الحجاج إلى الفونسو الرابع ملك أراجون ، يعرب السلطان عن أسفه لما يوجهه ملك أراجون فى كتابه من اللوم لما حدث من بيع جماعة من النصارى (الأرجونيين) باعتبارهم رقيقا ، على يد بعض الجنويين فى ثغر ألمرية . يعرب السلطان عن أسفه لما حدث ويقرر أنهم لو علموا أن هؤلاء الأشخاص هم من أهل أراجون . لما سمح بذلك التصرف ، وأنه سوف يبحث عن أولئك الأشخاص ، ويسرحهم من أيدى ممن هم عنده ، ويؤكد السلطان أنه سوف يعمل فى ذلك ما يوجبه الوفاء ، وما يقتضيه اعتقاده فى صداقة زميله ملك أراجون .

وفى الرسالة الرابعة المؤرخة فى سنة ٧٣٨ هـ (١٣٣٧ م) ، وهى أيضاً مرسلة من السلطان يوسف أبى الحجاج إلى ملك أراجون دون بطره (بيدرو الرابع) ، يعرب السلطان عن شكواه المرة لما يقع بأراضى مملكته وسواحله من الضرر على يد بعض الخوارج من الرعايا النصارى ، ولا سيما من أهل لقنت والمدور وأوريولة ، وأنه قد حمل من جراء هذا العدوان جملة من المسلمين من السواحل الإسلامية . وهو يطالب بأن يجبر ويرد من أخذ من المسلمين وأموالهم ، وأن تكف هذه الأضرار الواقعة ، وأن ينظر ملك أراجون فى ذلك بما هو معلوم من وفائه وغيرته على العهد ، وأن يعمل على كف الأيدى

المعتدية . ويحذر سلطان غرناطة زميله ملك أراجون من التراخى فى ذلك ، وأنه إذا لم يقع الانصاف المرغوب ، فسوف يسفر ذلك عن الضرر ، وأنه قائم بالوفاء لما اشترط فى الصلح المعقود بين البلدين .

هذا ، ومما يلفت النظر ما صيغت به هذه الرسائل الغرناطية من الأساليب الدبلوماسية البسيطة الهادئة ، التى تخلو من المبالغات والإغراق فى المديح والدعاء . ويرجع ذلك حسبما قدمنا إلى علائق المودة والسلام السائدة بين البلدين ، وتجردها من الأطماع السياسية والاقليمية .

محمد عبد الله عنان

نصوص الرسائل

– ١ –

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد نبيه الكريم ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

الملك المعظم الشهير ، الأرفع ، المشكور ، الأوفى ، الخطير ، الكبير ، الأود ، الأخلص الأصفى دون جيمى ، صاحب بلنسية وأرغون وسردانية وقرسقة ، وقمط برشلونة ، أعزه الله بتقواه ، ويسره إلى ما يحبه الرب جل جلاله ويرضاه ، شاكر خلوصه وصفايه المبنى على ثبوت عهده وصدق وفايه . عثمن بن إدريس بن عبد الله بن عبد الحق ، وبعد حمد الله رب العالمين ، المنزه عن الصاحبة والولد والشريك والمعين ، والصلاة على سيدنا ومولانا محمد سيد الخلق وخاتم النبيين ، وعلى جميع أنبياء الله والمرسلين ، والرضى عن الصحابة الأكرمين ، وعن التابعين .... إلى يوم الدين . فإنى كتبته لك أيها الملك المعظم من حضرة غرناطة حرسها الله ، ولا جديد بيمن الله سبحانه إلا ما يتجدد إنعامه عز وجل وإحسانه ، والحمد لله . وجانبك سجل على الدواير والأنصار ، وواجبك مكمل فى كل الأحوال ، والثناء على جميل ولائك وصدق وفايك مردد فى كل مقام ومقال . وإلى هذا فان كتابك المرفع وصل إلى مع رسولك سيمون دى خوهه فى شأن عقد الصلح بين مولانا السلطان أيده الله ونصره وبينك . وقد تخلصت العقود على أكمل وجوه الإحسان ، وحصل المقصود فى تأمين البلاد والعباد ، وكف الأضرار . وأنا على شكر ودك وحفظ عهدك حسبما يوجبه الاعتقاد الخالص وإعلان الأسرار . وقد بلغنى ما وجهت لى مع رسولك سيمون ، وجددت على ذلك شكر ودادك ، وعلمت صحة خلوصك واعتقادك ، وظنى فيك أيها الملك المعظم أن تفعل ذلك ، وغرضى يحقق أن ينقضى ما طالت حياتك هنالك ، فوفائى معلوم ، وقصدك

فى المودة مفهوم ، والله الملك سرى لا تساويه واحد من ملوك النصرى شرقاً وغربا . ولك الوفاء الذى شهر عند جميع النـاس بعدا وقربا . وقد قلت لسيمون فى سرك كله ما يقرره بين يديك ويلقيه إليك . فصدق ما يقول فعنده شرح ما عندى وتفصيله . والله يعزك بتقواه وييسرك إلى ما يحبـه الله ويرضيك ، والسلام يراجع سلامك كثيرا أثيرا . كتب فى الثامن عشر لشهر ربيع الآخر عام واحد وعشرين وسبعماية .

العنوان :

الملك المعظم الأجل الأرفع الأوفى المشكور
الشهير الخطير الأرضى الأخلص الأصفى
دون جيمى صاحب بلنسية وأرغون وسردانيه
وقرسقة وقمط برشلونة ، أعزه الله بتقواه ويسره
إلى ما يحبه الرب جل جلاله

— ٢ —

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

السلطان الأجل ، المرفع ، المكرم ، المبرور ، المشكور ، الأوفى ، الأخلص ، دون جيمى ، سلطان بلنسية وقمط برجلونة وصاحب قرصقه ، وصل الله عزته بتقواه ، وأسعده بطاعة الله ورضاه ، مكرم مملكته ، وشاكر ما أظهر من مودته ، المحافظ على عهده ، ورعى صحبته . الأمير عبد الله محمد بن أمير المسلمين أبى الوليد اسماعيل بن فرج بن نصر . أما بعد فإنا كتبناه إليكم من حمراء غرناطة حرسها الله ، وليس بفضل الله سبحانه إلا الخير الأكمل ، واليسر الأشمل ، والحمد لله كثيراً . وجانبكم مبرور ، وفضلكم فى الصحبة معلوم مشكور ، ومحلكم بين ملوك النصرانية ، المحل المعروف المشهور . وإلى هذا فقد وصل كتابكم المكرم على يدى رسولكم إلينا جوان اريق ، وقد حضر بين يدينا ورفيقه جقمى من

قلمة أيوب ، وقررا عندنا من محبتكم فى صحبتنا ، وقصدكم الجميل ، فى حفظ عهد مولانا الوالد ، قدس الله روحه ، ما شكرناه لكم ، وعلمنا أنه الذى يليق بمثلكم من الملوك الأوفياء . ووصلنا المكتوب الذى وجهتم بتجديد الصلح ، الذى كان بين والدنا وبينكم لخمسة أعوام من كتابته . وقد جددناه نحن على حسبما اقتضاه مكتوبكم . والعقد بذلك يصلكم صحبة هذا . ونحن على أولنا فى حفظ عهدكم ، والاغتباط لصحبتكم ، والوفاء بما عقدناه معكم . وقد وجهنا إليكم صحبة رسولكم أربعة من النصارى من أرضكم ، فقصدنا منكم أيها السلطان أن توجهوا إلينا المسلمين الذين أخذتهم أجفانكم فى سلوة الدعدع ، وتعملوا فى ذلك ما يقتضيه وفاؤكم الصادق ، ونحن قد أمرونا أن نبحث عما أخذ من أرضكم من النصارى فى الصلح ، ويعمل فى ذلك ما هو الواجب . ومما نعرفكم به أنه فى هذه الأمور عمر بطره اغرو من سكان أريوله شطها فى المدور ، وأخذ بطرف البطة اثنى عشر شخصاً من أهل المرية ، فنريد منكم أيها السلطان أن يعز عليكم هذه الحال ، وتعملوا فيه ما يعمله سلطان مثلكم ، وتوجهوا إلينا هؤلاء المسلمين ، وتأمروا رجالكم بكف الضرر عن أرضنا على المعلوم من وفايكم وحفظكم للعهد . والله سبحانه يصـــل عزتكم بتقواه وييسركم لما يرضاه . والسلام يراجع سلامكم كثيراً أثيراً . وكتب فى الحادى عشر لجمادى الأخيرة عام ستة وعشرين وسبعماية . صح هذا

العنوان :

السلطان الأجل المرفع المكرم المبرور
المشكور الأوفى الاخلص دون جقمى
سلطان بلنسية وقمط برجلونه وصاحب
قرصقة وصل الله عزته بتقواه وأسعده
بطاعة الله ورضاه

— ٣ —

بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا ومولانا محمد رسوله الكريم وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

السلطان الأجل المرفع المكرم المبرور المشكور الأوفى ، ملك أرغون وسلطان بلنسية وصاحب سردانية وقرصقة وقمط برجلونه ، وصل الله عزته بتقواه ، ويسره لما يحبه الله ويرضاه ، مكرم مملكته ، وشاكر مودته ، المثنى على صحبته ، البرجانيه ، العارف بمقاصده فى الملوك الأوفياء ومذاهبه . من عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبى الوليد اسماعيل بن فرج بن نصر . أما بعد فإنا كتبنا إليكم من حمراء غرناطة حرسها الله ، وليس بفضل الله سبحانه إلا الخير الأكمل ، واليسر الأشمل والحمد لله ، وجانبكم مبرور ، ومذهبكم فى الوفاء مشكور ، ومنصبكم فى الملوك معلوم مشهور . وإلى هذا فقد وصل كتابكم المبرور فى شأن الأشخاص الذين باعهم الجنويون بالمرية ، وغيرهم من أهل أرضكم ، واعلموا أننا لو عرفنا أنهم من أهل أرضكم ، ما سمح فى بيعهم ولوجهناهم إليكم على ما يوجبه الوفاء بالعهد ، فاننا ما عندنا مثل الوفاء بما عاهدناكم عليه ، ولاكن عند وصول كتابكم ، وجهنا التفسير باسمايهم إلى المرية ، وأمرنا أن يبحث عنهم ويسرحوا من أيدى من هم عنده . ونحن نعمل فى ذلك ما يوجبه الوفاء وما يقتضيه اعتقادنا فى صحبتكم بحول الله . فاعلموا ذلك والله سبحانه يصل عزتكم بتقواه ، ويسعدكم بطاعته ورضاه . والسلام يراجع سلامكم كثيراً أثيراً . وكتب فى شهر جمادى الآخرة عام خمسة وثلاثين وسبعمائة .

صح هذا

العنوان :

السلطان الأجل المرفع المكرم المبرور
المشكور الأوفى الاخلص دون المنشة
ملك أراجون وسلطان بلنسية وصاحب
سردانية وقرصقه وقمط برجلونه وصل
الله عزنه بتقواه

— ٤ —

بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا ومولانا محمد رسوله الكريم وعلى آله وصحبه وسلم .

السلطان الأجل المرفع المكرم المبرور المشكور الأوفى الأخلص دون بطره ملك أرغون وسلطان بلنسية وصاحب سردانية ، وقمط برجلونة وصل الله عزته بتقواه ، وأسعده بطاعة الله ورضاه ، مكرم جانبه ، وشاكر مقاصده فى الوفاء ومذاهبه ، حافظ عهده النزيه ، العارف بمحله فى الملوك منصبه .

الأمير عبد الله بن يوسف بن أمير المسلمين أبى الوليد اسماعيل بن فرج بن نصر . أما بعد فإنا كتبناه إليكم من حمراء غرناطة حرسها الله ، وليس بفضل الله سبحانه إلا الخير الأكمل واليسر الأشمل ، والحمد لله كثيراً ، وعن الحفظ لعهدكم ، والثناء على مذهبكم فى الوفاء وقصدكم ، والعلم بمنصبكم فى ملوك النصرانية ومجدكم ، وإلى هذا فقد وصلنا كتابكم جواباً عما كتبناه إليكم فى شأن الضرر الذى لحق بلادنا من أرضكم ، تذكرون أن ذلك الضرر الاعلم عندكم ، وحاشى لله أن نعتقد فيكم إلا الوفاء الذى يليق بمملكتكم وسلفكم ، فمثلكم من الملوك الكبار ، لا يعتقد فيه إلا الوفاء والصدق ، وما ذلك الضرر لا يليق بأهل الأرض ، وأكثره من الناس الخارجين عن طاعتكم من لقنت والمدور وأريوله ، والأرض التى لنظر بطره شارقه . ومع ذلك فإنه ضرر كبير ، ومنه ما هو من البلاد التى تحت طاعتكم . فى هذه الأيام أضر بهذه السواحل شطى ، وحمل من المسلمين جملة حتى احد ، وأقر ناسه أنه عمر ببلنسية ، فالقصد منكم أن تنظروا فى هذا الحال بما هو المعلوم من وفايكم وغيرتكم على عهدكم ، حتى تجبروا ما أخذ من المسلمين وأموالهم ، وتكفوا الأيدى العادية ، وعرفونا بما عندكم فى قصبة تلك البلاد التى خرجت عن طاعتكم ، لنعلم مذهبكم فى ذلك ونبنى عليه . وعرفتم بأنكم قد كتبتم إلى منورقة ، ليوصل إليكم منها المفسدون الذين خرجوا على عهدكم ، واضروا بالمسلمين فى قصبتهم للواجب . وذلك هو الذى

يليق بكم ونشكركم عليه . ووقفنا فى كتابكم على فصل طلبتم منا فيه أن نعرفكم بمذهبنا فى الصلح ، فإنكم صعب علينا ما تضمنه كتابنا من أنه لا صبر على هذا الضر . فاعلموا أن قصدنا بما كتبناه إليكم ما هو إلا أنه إن لم تنصفوا فيسفرن فى ذلك الضرر . وأما ما عقدنا من الصلح فنحن نوفى به على حسبما اشترطناه ما وفيتم لنا أيها السلطان ، فكونوا من ذلك على يقين . والله سبحانه يصل عزتكم بتقواه ، ويسعدكم بطاعته ورضاه . والسلام يراجع سلامكم ، وكتب فى يوم الخميس الثالث والعشرين من محرم مفتتح عام ثمانية وثلاثين وسبعمائة . صح هذا

العنوان :

السلطان الأجل المرفع المكرم
المبرور الأوفى المشكور الأوفى
الأخلص دون بطره ملك أرغون
وسلطان بلنسية وصاحب سردانية
وقمط برجلونة وصل الله عزته بتقواه
وأسعده بطاعة الله ورضاه بمنه وفضله

عمرو لخالد بن العاص عامل الرسول على اليمن . ولم يزل فى آل سعد إلى أيام هشام بن عبد الملك ، فاشتراه خالد بن عبد الله القسرى بمال وفير وأنفذه إلى هشام (١) .

واشتهرت مناطق معينة بصناعة السيوف ، فقد كان أهل مؤتة فى بلاد الغساسنة يصنعون نوعا ممتازاً من السيوف عُرف فى النصوص العربية بالسيوف المشرفية . وازدهرت صناعة السلاح فى اليمن منذ القدم ، وكان لأسيافها وخوذاتها شهرة عالمية ، وتنسب السيوف إليها ، فيقال سيف يمنى أو يمانى . ويبدو أن السيوف اليمنية تضاءلت شهرتها بعد انتشار الدعوة الإسلامية فى البلدان المجاورة التى فتحها العرب كإيران والشام .

وفضلا عن ذلك فقد كان العرب فى الجاهلية يجلبون السيوف من صناعها بنواحى العراق والأبلة (٢) .

صناعة السيوف فى ايران :

اشتهرت إيران منذ أقدم العصور بصناعاتها المعدنية كصنع السيوف ، وحافظت على هذه الشهرة فى العصر الإسلامي ، ولقد توافرت لدينا الأدلة الكثيرة على ازدهار صناعة السلاح الايرانية ولا سيا السيوف فى عدة مدن من إيران الإسلامية ، ومن أهمها : شاهق ، وكان السلاح يصنع من حديدها ، وأطلق عليها اسم النصال الشاهقية . وقد أشار الفردوسى فى الشاهنامة إلى مضاء سيوف شاهق وجودتها فى منظوماته الخالدة . وكذلك كان لكرمان الصدارة فى إجادة صنع السيوف وأسنة الرماح فى القرن السادس عشر ، وكانت مضرب الأمثال فى الجودة ، واشتهرت أيضاً مدينة قُم بنصالها النفيسة ، كما اشتهرت

(١) النويرى : نهاية الأرب ، ج ٦ ، ص ٢١٣

(٢) الأبلة بلدة على شاطىء دجلة بالقرب من البصرة ، وقد درست .

« ... ثم استوص بالتجار وذوى الصناعات ، وأوص بهم خيرا ، المقيم منهم ، والمضطر بماله ، والمترفق ببدنه ، فإنهم مواد المنافع ، وأسباب المرافق ... » .

ورث العرب شيئاً فشيئاً من الفنون الصناعية خير ما حذقته الأمم التى خضعت لسلطانهم بين الشعوب المتحضرة التى اعتنقت الإسلام كالفرس والمصريين ، أو التى اتصل العرب بها و نقلوا عن علومهم وفنونهم كالهند . والمعروف أن فن صناعة السلاح أصاب أثناء الجاهلية فى شبه الجزيرة العربية تطوراً ملحوظاً ، وكان الصناع من العرب لا يستقرون بحال من الأحوال فى مكان ما ، وقد اعتادوا عند ما يحطون رحالهم فى بقعة من الصحراء أن لا يبوحوا لأحد بمواقيت رحلتهم التالية ، واعتاد العرب أن يدفعوا أثمان ما يطلبه منهم هؤلاء الصناع دون جدال . وممن اشتهروا بالحدادة وارتفعوا بالإسلام « خباب بن الأرث بن جندلة » ، فقد كان فى الجاهلية يعمل بالسيوف . وأشهر القيون (الحدادون ومفردها قين) عندهم بنو أسد . واشتهر أيضاً صانع آخر اسمه سريج من بنى أسد ، وأطلقت على سيوفه السريجيات ، تلك التى ذاعت شهرتها وتحدث عنها الشعراء القدماء : (١)

بكل سريجى جلا القين متنه   رقيق الحواشى يترك الجرح أنجلا

وقامت فى بصرى من أعمال حوران مصانع أسلحة مشهورة ، وكان الصناع يطبعون أسلحتهم ويرسمون عليها النقوش والصور ، فكان على سيف الحارث بن صالح صورة حيّتين .

ومن أشهر سيوف قدامى العرب « صمصامة » عمرو بن معدى كرب ، وضرب المثل به فى كرم الجوهر وحسن المنظر . وكان عمرو ، وهو فارس اليمن قد أحسن استعماله فى الجاهلية ، وعنى به كثيراً فى الإسلام ، ثم وهبه

---

(١) لويس شيخو اليسوعى : النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ، ص ٣٧٥ — ٣٧٧ ، ط. الآباء المرسلين ، بيروت ١٩٢٣

الصناعة ، وكانت مخطوطتنا هذا الكتاب موضوع الرسالة التى قدمتها المحققة للحصول على درجة الدكتوراه ، وقامت جامعة سلمنقـة بطباعته بالاشتراك مع المعهد الاسبانى العربى للثقافة .

والكتاب دراسة نقدية للنص العربى مع ترجمة كاملة له إلى اللغة الإسبانية ، بالاضافة إلى معجم المصطلحات الطبية الواردة فى كتاب المدخل إلى صناعة الطب .

٥ — « التاريخ الأندلسى : من الفتح الإسلامى حتى سقوط غرناطة »
تأليف الدكتور عبد الرحمن على الحجى ، بيروت ، ١٩٧٦

كتاب هام يشمل كل جوانب التاريخ الأندلسى على مدى حقبه المختلفة ، قسمه المؤلف إلى مدخل عام وثلاثة فصول ، اتبع فى عرضها منهجا جديدا فى تقديم آرائه ، فلم يلجأ إلى أسلوب السرد التاريخى التقليدى ، أو طريقة الترتيب الزمنى للحوادث ، وإنما عالج كل عهد معتمدا على أهم الحوادث التى وقعت خلاله وأهم المظاهر التى اتسم بها ، وهو يقف أمام هذه الظواهر يفسرها ويحللها .

٦ — الحضارة العربية فى إسبانيا ، تأليف الأستاذ ليفى بروفنسال ، وترجمـة الدكتور الطاهر أحمد المكى ، القاهرة ، ١٩٧٩

قدم الدكتور الطاهر ترجمته بمقدمة هامة ضمنها دراسة عن المؤلف وأهم مؤلفاته ، موضحاً خطتـه ومنهجه فى الترجمة ، وقد حرص المترجم على أن يكون أمينا فى ترجمته ، وكان يرجع إلى المصادر التى رجـع إليها المؤلف ، فيقتبس منهـا ما كان يقتبسه المؤلف . والترجمة عمل علمى جليـل يسهل على الدارسين الاطلاع على آراء عميد المتأسبنين الفرنسيين .

خراسان فى صناعة السلاح إلى القرن التاسع عشر . ولا بدَّ أن نذكر أيضاً فى هذا المجال مدينة قزوين وخوارزم ، كما عرفت شاش ، إحدى مدن اقليم ما وراء النهر بسيوفها الكريمة . كذلك لا ينبغى أن نتجاهل شيراز كمركز لصناعة أنواع السلاح الجيد . . .

ولا ينبغى إغفال ذكر أصفهان الخراسانية ، تلك المدينة التى كانت حاضرة فارس قبل طهران ، وقد زاول فيها أسد الله أمير صناع السلاح الايرانيين حرفته فى أواخر القرن السادس عشر وأوائل السابع عشر وزاولها من بعده ابنه وتلامذته . ولما زار الرحالة الفرنسي شادران إيران (١٦٤٣ — ١٧١٣) فى عصرها الذهبى ، أعجب بالسيوف الفارسية ، وأدهشته براعة الطباعين الفرس لا سيما فى صناعة السيوف والقسى والخناجر . وانتساب أسد الله إلى أصفهان ليس دليلا على أنه أصفهانى المولد ، والمؤكد أنه أقام فيها لما كان يعمل فى طبع السيوف ، فصنع عدداً كبيراً من النصال البديعة التى نقش عليها اسمه . وتحتفظ اليوم دور التحف فى القاهرة واستانبول وأثينا وطهران وموسكو وباريز وفيينا وبرلين ولندن ونيويورك ببعض أسيافه النادرة ، تلك التى تمتاز بصفاء نصالها وبهاء جوهرها وخلوها من الزخارف والجواهر النفيسة ، نقش عليها اسمه واسم صاحب السيف وآية من القرآن الكريم ، وغالبا ما كان يكتب اسم الشاه عباس الأكبر (١٥٨٧ — ١٦٢٨) هكذا : « شاه عباس بنده ولايت » أى عباس عبد الله المختار .

ومن بين الطباعين الايرانيين المشهورين « قلب على » ابن أسد الله ، وقد عاش فى أصفهان مع أبيه ، والطباع محمد زمان الأصفهانى تلميذ أسد الله ، وينسب إليه سيفان تضمها مجموعة متحف والاس بلندن (رقما ١٧٦٢ و ١٩٠٤) . ومنهم صادق الطباع ، وابراهيم المشهدى بن محمد رضا صانع الخوذات ، وعلى القزوينى ، ومختار الأصفهانى وغيرهم ممن نقرأ أسماءهم فى متن هذا المقال .

صناعة السيف فى مصر وسوريا :

اشتهرت سوريا منذ القدم بصناعة السيوف ، وكانت مراكز صناعتها فى بصرى ، وحوران ، وفى دمشق التى عرفت بصناعة السيوف منذ أيام الرومان . وكان يرد إليها الفولاذ الهندى المحتوى على قليل من الألومين والسيلكا فتطبع منها النصال التى اشتهرت بصلابتها ومرونتها وفرندها الرائع الرسم . وقد عرف الجوهر الدمشقى بالحناوى أو الحنون ، وحافظت دمشق على شهرتها الرفيعة فى صناعة السيوف إلى أن فتحها تيمورلنك عام ١٤٠٠ م ، فأمن أهلها ، وقبل ما قدموه إليه من الهدايا النفيسة ، ثم نكث بعهده وسمح لرجاله بنهب المدينة ، فعاثوا فيها ، وأضرموا النار فى أرجائها ، وبعد أيام رحل عنها تيمور وقد أجلى معه بعض الأعيان وكل ماهر فى فنه من الطباعين والنساجين والخياطين ممن اشتهرت بهم دمشق . وارتكب سليم الأول عقب استيلائه على دمشق فعلة تيمور ، فاقتصرت مهمة الطباع الدمشقى منذ القرن السادس عشر على إنتاج السيوف والخناجر العادية . ومع ما أصيبت به صناعة السلاح الدمشقية من الأضرار ، فمن المحتمل أنها نجحت فى إقصاء النصال الإيرانية عن أسواق الشرق الأوسط ، حتى أنه قرابة عام ١٥٥٠ كانت النصال الخراسانية تصل إلى الغرب عن طريق البندقية واليونان فحسب .

صناعة السيف فى الأندلس :

اشتهرت عدة مراكز إسبانية فى العصر الإسلامى بصناعة السلاح ، لا سيما السيوف ، ومن أشهر تلك المدن : مرسية وإشبيلية والمرية وغرناطة . ولا شك أن مكانة طليطلة فى تلك الصناعة الهامة بلغت أسمى الإزدهار ، وتنسب إليها السيوف الطليطلية إلى يومنا هذا .

ويذكر ابن سعيد المغربى (ت ٦٧٣ ﻫ) أن مرسية اشتهرت (فى القرن الثالث عشر) بصناعة السلاح ، كما تناول أبو العباس بن أحمد التلمسانى المعروف بالمقرى (ت عام ١٠٤١ ﻫ) عند كلامه عن مرسية أهميتها فى صناعة الدرقات والزرد المكفّتْ بالذهب ، والمدى ، والمقصات ، ومعظم السلاح وأدوات الحرب ، ويذكر المقرى أيضاً أن المرية (فى القرنين الثانى والثالث عشر) ، اشتهرت بصناعة الأوانى المعدنية والأدوات المنزلية وكذلك بصقل السلاح .

ولا يمكن أن يكتب أحد تاريخ السلاح فى إسبانيا الإسلامية دون أن يذكر ويشيد بمدينة طليطلة ، تلك المدينة التى ما زالت تحتفظ باسمها الرنان فى صناعة الأسلحة الجيدة . وعلى الرغم من أن العرب لم يتخذوا طليطلة قاعدة لدولتهم كما كانت زمن القوط ، فإن عمرانها لم يتقلص لكثرة ما كان بها من الصنائع ، ومنها صناعة السيوف الجيدة وصناعة نسيج الحرير والصوف . ولما فتح المسلمون إسبانيا واصلوا العناية بهذه الصناعة ، واستمرت طليطلة تتمتع بشهرتها فى صناعة السيوف طوال العصر الإسلامى بل وفيما تـلى ذلك من عهود . ومن المعروف أن الخليفة عبد الرحمن الأوسط (٨٢٢ — ٨٥٢ ﻫ) عمـل على إحياء صناعة السلاح فى طليطلة ، كما أن الخليفـة الحكم المستنصر أهدى فى عام ٩٦٥ م مجموعة من سلاح هذه المدينة إلى دون سانشو ملك ليون وصاحب نبرة (١) .

ومن أشهر السيوف الأندلسية التى وصلت إلينا ، سيفان ينسبان إلى الملك أبى عبد الله آخر ملوك غرناطة ، أحدهما يعرض فى متحف الجيش الإسبانى بمدريد ، وثانيهما فى المتحف الوطنى بمدينة كاسيل فى ألمانيا . أما السيف الثالث فينسب إلى على العطـار قائد لوشة (Loja) وقد استشهد فى معركة أليسانه Lucena عام ١٤٨٣ ، وهو قريب الشبه إلى السيفين السابقين ، ويحتفظ به متحف الجيش الاسبانى .

---

(١) Calvert, Albert: Spanish Arms and Armour, London 1907

صناعة السيف التركى :

عرف عن صناع السلاح الأتراك أنهم كانوا يطبعون السلاح لشعب الآبر (Avars) الذى ساد بعض الأقاليم الشرقية فى أوربا إلى سهول المجر إلى أن دالت دولتهم . وعندما استقر الترك فى أوربا تركزت فى القسطنطينية صناعة السلاح ، وكانت بروسة من قبل قد اشتهرت بصقل السيوف وطبعها ، كما ذاعت شهرة أزمير فى هذه الصناعة . ويمكن القول أنه فى خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر بلغت صناعة السلاح فى تركيا أوج قمتها ، وبلغ طباعوها مستوى الابداع الفنى ، وممن برعوا فى هذه الصناعة الأوسطى سنان ، وعجم أوغلو الذى اشتهر فى عصر السلطان محمود (١٧٣٠ — ١٧٦٤) وغيرهما ممن سجلت أسماؤهم فى سجلات أصحاب الحرف .

مؤلفون من المسلمين كتبوا عن السلاح :

أقدم من وصل إلينا اسمه من العرب الذين كتبوا عن السيوف ، هو الكندي الفيلسوف العربى (ت ٨٧٥ م) ، كتب رسالته عن السيف تلبية لرغبة الخليفة العباسى المعتصم بالله (ولى سنة ٨٣٣ هـ) . وقد أمدتنا رسالة الكندى بفيض من المعلومات الفنية الغزيرة عن السيف العربى والسيوف المعاصرة له ، وخصائص كل منها[١] .

وممن عنوا بصناعة السيف من مؤلفى المسلمين فى العصور الوسطى ، أبو الريحان البيرونى الفيلسوف العظيم فى كتابه « الجماهير فى معرفه الجواهر » .

---

(١) عبد الرحمن زكى : السيوف وأجناسها فى رسالة الكندى ، مجلة كلية آداب جامعة القاهرة ، ج ٢ ، ديسمبر ١٩٥٢ ، ص ١ — ٣٦

تناول فيه وصف أنواع الحديد التى تصنع منها نصال السيوف ، وتكلم عن جوهره وعن مراكز صناعة السيوف الجيدة (١) .

وفى عهد السلطان صلاح الدين يوسف الأيوبى كتب مُرضى بن على الطرطوسى ، ويحتمل أن يكون قد عاش فى الاسكندرية أثناء القرن الثانى عشر ، كتابه « تبصرة أرباب الألباب فى كيفية النجاة فى الحروب من الأسواء ونشر أعلام الأعلام فى العدد والآلات المعينة على لقاء الأعداء » . وقد تناول المؤلف شتى الموضوعات من أنواع السلاح وصناعتها وفن القتال ، وخص السيف بنصيب وافر من دراسته ، كما تحدث عن صناعة القوس والدرق والمنجنيق والدبابة والمثلثات (٢) .

وفى عصر سلاطين المماليك ألف كثير من المتخصصين كتبا فى السلاح وصناعته ، نذكر منها مخطوط الأحكام المملوكية والضوابط الناموسية (القرن ١٤) لمحمد بن منكلى (مخطوط رقم ٧٥ فنون حربية بدار الكتب المصرية) . وللمؤلف كتاب آخر اسمه « التدبيرات السلطانية فى سياسة المصانع الحربية » . وابن أرنبغا الزردكاش (٨٦٧ هـ/١٤٦٢ — ٣) صاحب « الأنيق فى المجانيق » ، وكتاب « المخزون فى جميع الفنون » لناصر الدين الطرابلسى . ومن بين هذه الكتب كتاب يحمل هذا العنوان ، مؤلفه محمد بن يعقوب أبو عبد الله بن أخى خزام ، كتبه فى أيام سلطنة قايتباى الكبير قرابة عام ١٤٧٠ (مخطوط رقم ٢٨٢٤ بالمكتبة الأهلية بباريس) . ولنجم الدين حسن الرماح (ت ١٢٩٥) الذى ينسب إليه اكتشاف البارود كقوة دافعة كتاب « الفروسية والمناصب الحربية » ، ذكر فى مقدمته أن كتابه يشتمل على الدروس التى تلقاها من أبيه (٣) .

---

(١) حقق هذا الكتاب الدكتور فريتز كرنكو وطبع فى حيدر آباد الدكن فى الهند عام ١٩٣٨ .

(٢) مخطوطة مكتبة بودليان رقم Huntrian 264 . نشر المخطوطة كلود كاهن فى مجلة الدراسات الشرقية فى دمشق ، ١٩٤٧ / ١٩٤٨ ، ص ١٠٣ — ١٦٣ .

(٣) د. عبد الرحمن زكى : مراجع فى تاريخ العرب الحربى ، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية فى مدريد ، مجلد ١٤ ، مدريد ١٩٦٧ / ٦٨ ، ص ١٦٥ — ١٩٨

صناع السيوف المسلمين :

فيما يلى أسماء أشهر طباعى السيوف ممن وصلت إلينا أسماؤهم منقوشة فى النصال التى صنعوها [١] :

— ابراهيم ؟ : صنع سيفا بعد عام ١٢٠٠ هـ (١٧٧٥/٦) لسليمان أغا . رقم ٩٧٩١ ، متحف بناكى ، أثينا (Benaki M.)

— ابراهيم : صنع سيفا عام ١٢٢١ هـ (١٨٠٦/٧) ، بالخزانة رقم ٧٧ ورقم السيف ١٣ ، متحف بناكى . ولابراهيم هذا يتجان [٢] نقش عليه اسم ابراهيم والتاريخ نفسه ، محفوظ بالمتحف الاثنوجرافى باستوكهلم (Stockholm)

— ابراهيم : يتجان مؤرخ عام ١٢٢٥ هـ (١٨١٠/١١ م) ، عليه اسم أحمد باشا ، رقم ٣٣٨ م بالمتحف الوطنى بكوبنهاجن ، فى المجموعة الاثنوجرافية (Copenhagen)

— ابراهيم : يتجان مؤرخ عام ١٢٢٨ هـ (١٨٢٢/٣ م) عليه اسم الحاج حسين أغا ، مجموعة هـ. تريكمان فى كوبنهاجن (Copenhagen)

— ابراهيم : سيف غير مؤرخ صنعه لمصطفى أفندى قره جومروك ناظرى ، امتلكه فيما بعد ديمترى كوكالى عام ١٨٥٤ . متحف بناكى بأثينا خزانة ٧٧ ، رقم ١٥ (Benaki M.)

— ابراهيم (الحاج) : يتجان مؤرخ عام ١٢٠١ هـ (١٧٨٦/٧ م) نقش عليه «سيدى باشا» ، المتحف الوطنى فى المجموعة الاثنوجرافية بكوبنهاجن (Copenhagen)

---

(١) L. A . Mayer, Islamic Armourers and their works, Albert Kundig, Geneva 1962

(٢) اليتجان نوع من السيوف التركية قليل الانحناء ، نصله مزدوج الانحناء ، استخدم فى بلدان إسلامية كثيرة .

— ابراهيم (الحاج) : سيف مؤرخ عام ١١٩٤ هـ (١٧٨٠) نقش عليه اسم اسماعيل ، رقم ١١١٢ ، متحف التاريخ بفيينا (Vienna)
— ابراهيم (الحاج) : يتجان غير مؤرخ ، خزانة ٣ ، رقم ٩ ، متحف بناكى بأثينا .
— ابراهيم زاده (الحاج) : سيف مؤرخ ١٢٠١ هـ (١٧٠٦/٧) ، عليه اسم حسين أغا سوادلى والى بلجراد ، رقم السجل ٧٦٥٤ ، متحف بناكى بأثينا .
— ابراهيم السكاكينى المصرى : صانع سلاح ومزوق ، كان حانوته يقع أمام مسجد المارداني بدرب الصباغ بالقاهرة ، توفى حوالى ١١٧١ هـ (١٧٥٧/٨) ، ذكره الجبرتى فى جـ ٢ ص ٢١٢ .
— ابراهيم المصرى : سيف مقوس (شمشير)[1] فى متحف طوبقا بوسراى باستانبول ، رقم ٢٨٨ (Istambul)
— ابراهيم المالكي (المغربى ؟) : سيف صنعه أثناء حكم السلطان قانصوه الغورى (ت ١٥١٧) فى مجموعة هـ. م. برونس هنسن فى هيليرود . (Mr. H. Brons Hansen Hillerod)
— ابن عمر النوحى : يتجان قصير مؤرخ ١٢٤٧ هـ (١٨٣١/٢) عليه اسم « عاشق سليمان » ، خزانة ٣ رقم ١٠ بمتحف بناكي (Benaki)
— أحمد : سيف مؤرخ ١٢٣٦ هـ (١٨٢٠/١) ، رقم ٢٠٦٩ ، متحف والاس فى لندن (Wallace C.)
— أحمد أسانى : سيف نقش عليه اسم السلطان أكبر عاهل الهند (١٥٥٦ — ١٦٠٥) ، متحف متروبوليتان بنيويورك (Metropolitan Museum)

---

(١) الشمشير هو سيف إيران المقوس ، وقد بلغ عصره الذهبى فى القرنين السادس عشر والسابع عشر ، ويتميز بضيق نصله ، وله حد واحد ، وليست جميع الشماشير على درجة واحدة فى التقوس .

— أحمد بقلي : يتجان ، متحف طوبقا بوسراى (١) ، باستانبول (Topkapu)
— أحمد خراسانى : شمشير (ايرانى) متحف بناكى ، خزانة ٨٦ رقم ٢ دليل متحف بناكى بالفرنسية ، عام ١٩٣٦ ص ١٢٠
— أحمد صاحب اسماعيل : صانع سلاح تركى ، يتجان رقم ٢٠٧٦ فى متحف والاس بلندن (Wallace C.)
— أحمد قائمى : سيف صنعه قبل عام ١٦٨٧ ، متحف أوروز بلاتا ، بموسكو (Moscow)
— أحمد قريشى : سيف رقم ١٤٨٩ ، متحف والاس فى لندن .
— أحمد كشته : قليج جوهره بديع ، صنعه عام ١٠١٣ ه (١٦٠٤/٥) لسرعسكر مصطفى باشا محافظ بودابست (٢) .
— أحمد المكى : سيف عليه اسم عمار بن ياسر . ذكره الأستاذ تحسين أوز فى كتابه عن « الآثار النبوية » (٣) .
— أحمد المصرى : سيف مؤرخ عام ١٦١٢ ، فى أوروزهيناما بلاتا فى موسكو (Moscow)
— أحمد المغربى : سيف مستقيم غنى بالزخارف المنقوشة . متحف طوبقا بوسراى رقم ١٢٨ (Istambul)
— أسد الله الأصفهانى : أمير صناع السيوف الإسلامية دون منازع ، أنجبته إيران ، ولم يكتب عنه شيء كثير ، ولكن أعماله كشفت عن عبقريته الفنية بين أخريات القرنين السادس عشر ، والثلث الأول من القرن السابع عشر ، وقد عاصر الشاه عباس الصفوى (١٥٨٧ — ١٦٢٨) ومن المحتمل أن أسد الله

---

(١) Pope A. Survey of persian art, pl. 1424 D.
(٢) A. S. Fulton, Inscribed sword, British Museum Quarterly, 1927, pp. 106 ff., plate LIX b.
(٣) Tahsin Oz, Hirke, 1953, p. 46

عاش إلى قرابة عام ١٦٦٠ ، وعلى هذا يكون قد عاصر من ملوك الأسرة الصفوية الشاه حسين وطهمسب الثانى وعباس الثالث ، ونادر شاه من شاهات الأسرة الانشارية .

تناثرت أسياف أسد الله الاصفهانى فى بلدان العالم الاسلامى ، وتجاوزت حدود ايران إلى الشام والهند ومصر ، وروسيا وغرب أروبا إلى الولايات المتحدة الأمريكية .

ومن اليسير أن نميز سيوف العصر الصفوى والعصر التالى له ، لما امتازت به صنعتها ، على عكس سيوف العصور السابقة ، وقد أصبح الشمشير طرازا فريدا غير معقد . ويلوح لنا أنه بوفاة أسد الله وزوال مدرسته الفنية من أبنائه وتلامذته انحطت صناعة السيوف الجيدة فى ايران ، ونهضت على أقدامها مدرسة السيوف العثمانية التى تتمثل فى القليج (السيف بالتركية) واليتجان .

ونذكر من أهم سيوف أسد الله وهى من طراز الشمشير :

١ — فى متحف والاس بلندن : يضم قرابة ١٦ سيفا أرقامها : ١٣٩٨ ، ١٤٠٧ ، ١٤٠٢ ، ١٤٤٣ ، ١٤٣٩ ، ١٥٤٠ ، ١٦٢٨ ، ١٧٥٨ ، ١٧٥٦ ، ١٨٦٠ ، ١٩٠٠ ، ١٩٩٥ ، ١٨٧١ ، ١٩٩٦ ، ١٩٠٢ وما تبقى من الصعب أن ننسبها إليه (١) .

٢ — فى متحف فكتوريا وألبرت بلندن : يذكر الأستاذ ماير فى كتابه (ص ٩٣) أن لأسد الله فى هذا المتحف قرابة تسعة أسياف ، ونرى أنه من الصعب نسبتها جميعاً إليه ، ونذكر أرقام أهمها : ٥٢١ ، ١٨٨٨ ، ٣٣٨٨ ، ٣٢٥٩ ، ١٨٧٥ ، ٤١٠

(١) قلد كثير من صناع السيوف منذ القرن الثامن عشر توقيع أسد الله الأصفهانى على السيوف رغبة منهم فى رفع شأنها ، ولكن المتخصص الخبير فى السلاح الاسلامى يستطيع أن يكشف سيوف أسد الله الحقيقية ويميزها عن غيرها .

٣ — فى مجموعة برج بلندن : أربعة أسياف . (Tower of London)
٤ — فى مجموعة قصر وندسور : سيف واحد (Windsor Palace)
٥ — فى متحف اللوفر : سيف واحد (Louvre)
٦ — فى متحف الجيش (الانفاليد) بباريس : ثلاثة أسياف : ١٠١٢ ، ١٠٠٤ ، ٧٤٥ (Invalid)
٧ — فى متحف برن التاريخى (سويسرة) : ١٦ سيفا نذكر أرقام أهمها : ١١ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٩٣ (Bern)
٨ — فى متحف الفنون فى جلاسجو : سيف واحد رقمه ١٤ — ٣٥ (Glasgow)
٩ — فى المتحف الاسكتلندى الملكى بأدنبره : سيف رقمه ٣١٤ — ١٨٩٠ (Edinburgh)
١٠ — فى متحف بناكى بأثينا : ثمانية أسياف ، وأرقام أهمها : ٩٧٩٤ ، خزانة ٨٩ سيف رقم ١ ، ٥٨٣٩ ، ٥٩٦٨ ، خزانة ٨٥ رقما ١٠ و ١١
١١ — فى متحف بورت ده هال ببروكسل (بلجيكا) : سيف رقمه ١٢٦٢ (Bruxelles)
١٢ — فى المتحف الوطنى بكوبنهاجن : سيف واحد .
١٣ — فى مجموعة جاكوبسن بكوبنهاجن : سيفان .
١٤ — فى متحف هيرميتاج : سيفان (Hermitage)
١٥ — فى متحف تساركويه سيلو بالاتحاد السوفيتى : سيفان (Isarkoyé Selo)
١٦ — فى متحف تورين (ايطاليا) : سيف واحد (Turin)
١٧ — فى متحف مدينة فينا : سيف واحد .
١٨ — فى متحف ليفروست باستوكهلم : سيف واحد .
١٩ — فى متحف أمبرويلس فى بومباى : عشرة أسياف ، أرقام أهمها : ٣٦١٣/٢٢ .

٢٠ — فى متحف الفن الإسلامى بالقاهرة : خمسة أسياف أرقام أهمها : ١/١٦٧١٩ ، ١/١٦٧٢٠ ، ١/١٦٧٢١ ، ١/١٦٧٢٣ ، ٣٥٢١
(Museum of Islamic Art, Cairo)

٢١ — فى المتحف القومى بنيودلهى : سيف واحد (New Delhi)

٢٢ — فى متحف سلارجونج باسكندر آباد بالهند : عشرة أسياف .

٢٣ — فى متحف متروبوليتان بنيويورك : ١١ سيفا ، أهمها أرقامها : ٣٦/٢٥/١٥٩٨ — ٣٦/٢٥/١٥٩٩ — ٣٦/٢٥/١٦٠٠

٢٤ — فى مجموعة كريستسن بكوبنهاجن : سيف واحد رقم ١٦٣
(M. Christensen)

— اسماعيل : سيف مستقيم غير مؤرخ ، رقم ١٧٧ — المتحف التاريخى فى فيينا ، له سيف آخر فى وارسوفيا صنعه أثناء حكم الشاه عباس ، وله مدية مستقيمة عليها « عمل اسماعيل » فى متحف أمبرويلس فى بومباى رقم ٢٢٣٩٢٣ ، وسيف فى متحف والاس فى لندن رقمه ١٧٤٦ .

— اسماعيل (أستاذ) وعلى أكبر : معاصران للسلطان ناصر الدين شاه ، القرن ١٨ ، سيف رقم ١٧٤٦ فى متحف والاس .

— اسماعيل بن أسد الله الاصفهانى : سيف غير مؤرخ ، قصر وندسور الملكى بالقرب من لندن رقم ١٧٨٨ .

— باقر مشهدى : سيف ، مؤرخ ١١٦٢ هـ (١٧٤٩) ، متحف متروبوليتان فى نيويورك .

— جان : سيف مؤرخ ١١٠٦ هـ (١٦٩٤/٥) ، خزانة ٨٦ رقم ٣ متحف بناكى .

— جعفر (حاج) : صانع سلاح تركى ، القرن ١٩ ، سيف فى متحف والاس .

— جمال قائمى : سيف غير مؤرخ صنعه قبل عام ١٦٨٧ . فى أوروزهينياتا بالاتا ، موسكو .

— حامد الله : سيف مستقيم (عربى) . متحف قصر عابدين . ذكر فى دليل المتحف الذى ألفه سيركاسل سميث ، ص ٥٣ رقم ١١٣٥ .

— حسن : سيف مؤرخ ١١٠٢ هـ (١٧٥٢ م) أثناء حكم الشاه عباس فى ايران . متحف سلارجونج باسكندر آباد فى الدكن ، رقم ٢٨٦

— حسين : يتجان مؤرخ ١٢٠٦ هـ (١٧٩١/٢) ، عليه اسم اسماعيل باشا فى متحف السلاح باستوكهلم رقم ٤٤١٣ (٧ × ٢٠)

— حسين : شمشير غير مؤرخ ، صنعه أثناء حكم السلطان محمد بن ابراهيم لشخص اسمه شاكر . المتحف التاريخى فى درسدن .

— حسين : يتجان ينسب إلى القرن الثامن عشر ، متحف السلاح الملكى فى استوكهلم رقم ٤٣٧٣ . أهداه إلى الملك كارل ١٣ أمير البحر ماغنوس روزن فون روزنشتين الذى زار الشرق بين ١٧٨٤ و ١٧٨٥ وكذلك بين ١٧٩١ و ١٧٩٤ .

— حسين على : سيف غير مؤرخ . كان بحوزة دوق فرانسيسكو من فلورنسة . أهدى إليه عام ١٥٨٧ المتحف التاريخى فى درسدن .

— حسين قلفة : سيف قصير مؤرخ ١٢٣٩ هـ (١٨٢٣/٤) ، صنعه لمحمد أغا . متحف فيينا لتاريخ الفن C. 206 له أيضاً سيف قصير غير مؤرخ صنعه لرضا عبد الله . متحف والاس فى لندن رقم ٢٠٦١

— حسين المصرى : سيف غير مؤرخ ، أهدى بعد معركة الاسكندرية (١٨٠١) للجنرال براون — كليتون . متحف فكتوريا وألبرت رقم م — ٦٤/ ١٩٣٤ .

— خير الدين بن حسن التركي : سيف مقوس عليه اسم السلطان بايزيد الثانى (١٤٨١ — ١٥١٢) رقم ١/٩٢ متحف طوب قابوسراى .

-- داود : سيف غير مؤرخ . متحف ليفروست كامبرن فى استوكهلم . له سيف آخر غير مؤرخ رقم ٥٩٤٤ فى متحف بناكى بأثينا .

— رجب على الاصفهانى : له قرابة أربعة سيوف صنعها قبل عام ١٦٦٤ فى أوروزهينايا بلاتا فى موسكو . وله سيف آخر غير مؤرخ فى متحف متروبوليتان .

— زمان ، محمد الاصفهانى تلميذ أسد الله : سيف مقوس غير مؤرخ فى المتحف الوطنى بكوبنهاجن فى المجموعة الاثنوجرافية رقم Q ٢٣٧ [١] ، وله فى متحف والاس الشماشير التالية وأرقامها : ١٧٦٢ ، ١٨٧١ ، ١٩٠٤ .

— سليمان : يتجان مؤرخ ١٢١١ هـ (١٧٩٦/٧) لابراهيم أغا . متحف الفن الاسلامى بالقاهرة .

— سنان (أستاذ) : تذكر بعض المراجع أنه صنع سيفا للسلطان سليمان العظيم عام ٩٤٠ هـ (١٥٤٤) .

— سنقر : كان توقيعه الحاج سنقر . له سيف مقوس النصل عليه اسم السلطان سليمان القانونى (٩٢٦ — ٩٧٤ هـ) ، رقم ٤٨٠ بمتحف طوبقا بوسراى وله سيف مقوس آخر صنعه فى أثناء حكم السلطان قانصوه الغورى (٩٠٦ — ٩٢٢ هـ) فى متحف الجيش الفرنسى (انفاليد) بباريس ، رقم J. ١٠٠٧ وله سيف مقوس مؤرخ سنة ٩٤٢ هـ فى متحف بيبودى بسالم ماساشوستس (Peabody) فى الولايات المتحدة الأمريكية .

— سيف مقوس صنعه سنقر أثناء حكم السلطان محمد (٩٥٥ هـ — ١٥٤٨/٩) آل إلى الجنرال مورو . متحف السلاح الملكى فى استوكهلم .

— سيف صنعه أثناء حكم السلطان السابق ذكره . مجموعة أوروزوهينايا بالاتا ، موسكو .

— سيف مقوس صنعه فى حكم السلطان السابق ذكره (١٥٥٠) ، متحف مدينة فيينا .

— سيف مثل سابقه فى متحف ووجسكابو لسكييجو بفارسوفيا رقم ١٨٧/

---

(١) Olufsen: The Emir of Bokhara and his Country. London, 1911, p. 476 Pl. XVII

— سيف مقوس ، متحف بناكي ، خزانة ٨٢ رقم ٤

— سيف غير مؤرخ ، متحف والاس بلندن ، رقم ١٩٥٦

— سيف غير مؤرخ ، متحف تاريخ الفن ، فيينا .

— قليج قليل الانحناء : ينسب إلى القرن ١٦/١٧ ، فى متحف الفن الإسلامى ، رقم ٢٤٦٤

— صادق : سيف صنعه فى أثناء حكم الشاه اسماعيل (١٥٠٢ –– ١٥٠٤) متحف متروبوليتان .

— صادق بن محب على الاصفهانى : سيف غير مؤرخ ، بالمتحف البريطانى ، (ماير) .

— عباس قوللى : سيف مقوس صنعه أثناء حكم محمد شاه حيدرى ، مجموعة هولجر جاكويسن فى كوبنهاجن . وله أيضاً سيف غير مؤرخ فى متحف برن التاريخى رقم ١٤٤٣ لوحة ١

— عبد الرحمن بن محمد بن الأستاذ محمد المصرى : سيف صنعه عام ٨٨٩ ﻫ (١٤٨٤) للسلطان بايزيد الثاني ، متحف طوبقابوسراى (انظر محمد المصرى وعلى بن محمد المصرى) .

— عبد العلى بن قاسم المصرى : سيف مقوس غير مؤرخ ، انتقل إلى ثيودوز ميخائيلوفتش ستسلافسكى قرابة عام ١٥٥٠ ، ثم انتقل فى عام ١٦٨٧ إلى موسكو فى مجموعة Orezheynaya Palata

— عبد الله : سيف ذو انحنائين مزخرف بالنقوش الذهبية وعلى نصله زخارف مفضضة ، يتبعها توقيع «عبد الله» صنعه عام ١٢٢٠ ﻫ (١٨٠٥) ، ذكره شارل بوتان فى كتابه ص ١٤٠ رقم ٥٩٠ (١) .

(١) Buttin, Ch.: Catalogue de la collection d' armes anciennes Européennes et Orientales, Rumilly, 1933.

— عبد الله : يتجان مكفت بالذهب ، صنعه لشخص اسمه عبد الله ، مؤرخ سنة ١٢٢٥ ﻫ (١٨١٠) . امتلكه أحمد بك أسعد ، ثم انتقل إلى متحف الفن الإسلامى فى القاهرة .

— عبد الله : سيف صنعه عام ١٢٣٨ ﻫ (١٨٢٢/٣) لمحمد أمين . انتقل إلى متحف بناكي بأثينا ، خزانة ٨٠ رقم ٤ — وله سيف آخر صنعه عام ١٢٣٨ ﻫ لاسماعيل أغا ، بمتحف متروبوليتان فى نيويورك (U. S. A.)

— عبد الله : سيف صنعه لحسن أغا ، غير مؤرخ ، متحف فكتوريا وألبرت رقم ٩٦ — ١٩٠٩

— عبد الله الاصفهانى : سيف مؤرخ فى ١١١٥ ﻫ (١٧٠٣) ، على نصله نقوش ذهبية ، متحف بورت ده هال فى بروكسل . ولسميه سيف فى متحف متروبوليتان .

عبد الله بن ابراهيم : سيف مستقيم كان للمدعو ف. ج. جريجورى . فى متحف فكتوريا وألبرت فى لندن رقم ٤٧ — ١٩٥٣ (١)

— عبد الله حسينى : سيف فى متحف سلارجونج باسكندر أباد بالدكن (الهند) رقم ٢٨٢ .

— عبد الله خوارزمى : سيف فى متحف ووجسكا بولسكيجو فى فارسوفيا (بولندا) .

— عبده : سيف مؤرخ فى ١٢٤٣ ﻫ (١٨٢٧/٨) ، نقش على نصله اسم مصطفى أغا . متحف تاريخ الفن بفيينا (مجموعة السلاح) رقم C. 213

— عبده : سيف فى متحف متروبوليتان بنيويورك .

— عبدى : سيف قصير قليل الانحناء مؤرخ فى ١٢١٠ ﻫ (١٧٩٥/٦) وعلى نصله اسم سليمان باشا ، فى مجموعة أ . كرستنسن فى كوبنهاجن رقم ٢

(١) Robinson: Blade, Arms and Armour Review, Sep. 1953, pp. 33-35, pl. VI.

— عجم أوغلو : سيف صنعه فى أثنـاء حكم السلطان محمود العثمانى (١٨٠٨ — ١٨٣٩) . وله سيف آخر فى متحف بناكي ، خزانة ٨٩ رقم ٢ وسيف فى متحف متروبوليتان بنيويورك (U. S. A.)

— عزت : سيف مقوس (شمشير) ، مـؤرخ فى ١٠١٣ هـ أو ١١١٣ (١٧٠١/٢) فى متحف برن التاريخى (سويسرا) رقم ٥١ .

— عطا محمد : سيف نقش على نصـله اسم مصطفى ، فى متحف درسدن التاريخى رقم ٣٩٧

— على : يتجان صنعه فى عام ١٢٢٦ هـ (١٨١١) لشخص اسمه عبدى ، متحف هلسنكى الوطنى رقم ٧٩٧٨ : ٣

— على الاصفهانى : سيف غير مؤرخ فى أوروزهينايا فى موسكو وله آخر فى متحف درسدن التاريخى .

— على أكبر وأستاذ اسماعيل : سيف مستقيم ، من المحتمل أنه صنع لأغراض الحفلات رقم ١٧٤٦ ، متحف والاس (انظر اسماعيل) .

— على أكبر : خنجر ، متحف فكتوريا وألبرت بلندن ، رقم ٨٢٤—١٨٩٣

— على بجانى : سيف غير مؤرخ ، متحف بناكى (١) .

— على بن محمد : سيف مؤرخ فى ١٢١٥ هـ (١٨٠٠/١) صنعه لابراهيم باشا بن صادق باشا . مجموعة هولجر جاكيسن فى كوبنهاجن .

— حاج على سنقر ، سيف صنعه فى أيام السلطان محمد ٩٥٨ هـ (١٥٥٠) قبضته صنعت فى أوائل القرن ١٩ . مجموعة والاس رقم ١٩٥٦

— على قزوينى : قليج كان بمجموعة العالم زاره (٢) بألمانيا حوالى عام ١٩٠٦

— على بن محمد المصرى : سيف غير مؤرخ مستقيم وله حدان ، نقش

---

(١) Exposition, Alexandrie, 1925, p. 82, No. 419.

(٢) Sarre: Metall, 1906, p. 61, No. 180, fig. 52.

عليه اسم صانعه ،وعلى نصله زخارف نباتية ونقوش محفورة . ينسب إلى القرن ١٤ . متحف طوبقا بوسراي[١] .

— على محمد شيرازى : سيف مقوس غير مؤرخ . متحف فكتوريا وألبرت ، رقم ٣٣٢٨

— عمر أوغلو : سيف صنعه سنة ١١٠٥ ﻫ (١٦٩٣/٤) . متحف بناكي خزانة ٧١ رقم ٧ . توقيع الصانع على ظهر النصل .

— عمر بن عبد الله : سيف غير مؤرخ ومقوس فى متحف Zbiory Zatukina Wawelu فى كراكاو . رقم التسجيل ٢٤٦٠ (Poland)

— عمر جاويش : يتجان صنعه سنة ١٢١٨ (١٨٠٣/٤) لمصطفي باشا فى مجموعة ليباهو Leppaaho بهلسنكى (Finland)

— غفور الحاج : شمشير . متحف والاس رقم ١٧٥١

— غلام على : له شمشيران . متحف والاس ، رقما ١٢١٨ و ١٨٤٦

— فايز الله : سيف مقوس عليه توقيع فايز الله الاصفهانى ، متحف أمير ويلس بمدينة بومباى رقم ٢٢٣٦٠٣

— فتح على شيرازى : سيف منحنى (عباسى) ينسب إلى القرن ١٧ ، مجموعة والاس رقم ١٨٧١ .

— قلب على الأصفهانى : صنع سيوفا عدة مؤرخة ، منها :

سيف صنعه سنة ١١٩٢ ﻫ (١٧٧٨) أثناء حكم شاه عباس . متحف فكتوريا وألبرت بلندن .

سيف قليل الانحناء ، صنعه أثناء حكم شاه طهمسب ، فن طراز سيف ذى الفقار . متحف نارادوى الوطنى بكراكاو (Poland)

---

(١) Stocklein: Ars Islamica Waffenschatz. 1934, pp. 214, 217, fig. 15, No. 5; Also Survey of Persian Art. Part. III.

سيف مقوس مؤرخ فى ١١٢ (١٧٠٠/!) أثنـاء حكم شاه طهمسب ، امتلكه محمد قولى شاولو عام ١٢٢٦ هـ (١٨٦٩/٧٠) ، متحف برن التاريخى رقم ١٣ (١)

سيف صنعه أثناء حكم الشاه اسماعيل ، نص التوقيع قلب على بن أسد . متحف فكتوريا وألبرت بلندن ، رقم ١٨٧٦ر ٦١٤

سيف مقوس مؤرخ فى ١١١٢ (١٧٠٠/١) أثنـاء حكم الشاه اسماعيل . متحف السلاح الملكي باستوكهلم ، رقم ٦١/٢٢ .

سيفان مقوسان ، مجموعة والاس ، رقما ١٩٩٠ ، ١٤٠٠

سيف غير مؤرخ فى متحف تساركويه سيلو بالاتحاد السوفيتى .

سيفان فى متحف سالارجونج ببومباى عليه توقيعه (Salar Jung) بالهند

سيف مقوس فى متحف أمير ويلس بمدينة بومباى رقم ٣٦٠٦ر ٢٢

سيف مقوس فى متحف والاس رقم ١٦٢٩ ، عليه توقيعه .

سيف غير مؤرخ فى متحف تساركويه سيلو ، عليه توقيعه (موسكو) .

سيف غير مؤرخ فى متحف السلاح الملكى باستوكهلم رقم ٤٣٦٩

سيف غير مؤرخ فى أوروزهينايايا بالاتا بموسكو .

سيف غير مؤرخ متحف بناكى رقم ٩٧٩٢

سيف غير مؤرخ بمتحف برن التاريخى (٢) .

— قلب على خراسانى : (ابن أسد الله ؟) سيف دون تاريخ ، صنع سيفا أثناء حكم شاه عبـاس الصفوى . متحف سلار جونج باسكندر آباد بالدكن رقم ٢٥٥ .

---

(١) Zeller u Rohrer, 1955, p. 100.

(٢) Zeller u Rohrer, 1955, pp. 117. No 75.

وله أربعة شماشير فى متحف والاس ، أرقامها :

١٤٠٠ ينسب السيف إلى نهاية القرن السابع عشر .

١٩٣٥ بنسب السيف إلى أواخر القرن السابع عشر .

١٦٢٩ ينسب السيف إلى أوائل القرن الثامن عشر .

١٩٩٠ ينسب السيف إلى أواخر القرن السابع عشر .

وفى متحف برن (مجموعة موزر) السيوف الآتية : رقم ٧٠ ، ٧٥ ، ٦٩ ، ٩٠

— كاظم الاصفهانى بن محمد شيرازى : سيف غير مؤرخ ، صنع تلوار (سيفا) هنديا للقائد يرمراد على خان تالبير . متحف والاس رقم ١٥٠٣

— محب حسن بن على شيرازى : سيف دون تاريخ . فى أوروزهينايا بالاتا فى موسكو .

— محب على الاصفهانى :

سيف دون تاريخ فى متحف درسدن التاريخى رقم ٤٠٢

سيف ، مجموعة أ. كرستنسون ، كوبنهاجن رقم ١٨١

سيفان فى قصر وندسور الملكى رقما ١٨٠٢ و ١٨٠٥

سيف فى أورزهينايا بالاتا بموسكو .

سيف فى متحف والاس رقم ١٨٧١ (يحتمل أن يكون له) .

— محمد : يتجان صنعه عام ١٢٢٣ (١٨٠٨ / ٩) ، كان فى مجوعة شارل بوتان [١] رقم ٥٩٧

يتجان صنعه عام ١٢٢٤ (١٨٠٩ / ١٠) ، كان فى مجموعة شارل بوتان ، رقم ٥٩١ [٢] .

يتجان صنعه عام ١٢٢٩ (١٨١٣ / ١٤) لابراهيم باشا . متحف فكتوريا وألبرت رقم ١٥٧٧ — ١٨٨٨

---

(١) Buttin: Ibid. p. 142.

(٢) Buttin: Ibid. p. 140.

— محمد : يتجان صنعه فى سنة ١٢٤٥ هـ (١٨٢٩/٣٠) كان فى مجموعة شارل بوتان[١] ، رقم ٥٩٣ .

— محمد : سيف قصير النصل ، صنعه سنة ١٢١٣ (١٧٩٨/٩٩) لعلي باشا فى متحف تاريخ الفن ، فيينا . رقم C. 45

سيف صنعه عام ١٢١٧ ، متحف بناكى ، رقم ٥٩٣٧ .

— محمد : يتجان صنعه عام ١٢٠٢ هـ (١٧٨٧/٨) . أوروزهينايا بالاتا موسكو .

— محمد : سيف مقوس (شمشير) . صنعه عام ١١٩٥ هـ (١٧٨٠) ، مجموعة أ. كريستنسن ، كوبنهاجن رقم ١٥٠

— محمد : سيف مستقيم قصير النصل ، صنعه سنة ١١٨٣ هـ (١٧٦٩/٧٠) لمصطفى أغا فى قلعة تيشينا (Teshina) متحف السلاح الملكى باستوكهلم رقم ٤٣٨٠

— محمد أغا : سيف قصير مستقيم صنعه عام ١١١٩ (١٧٠٧/٨) لأحمد أغا بن صالح أغا ، مجموعة برونس هانسن ، هيلرود .

— محمد الأنصارى : سيف مستقيم عريض النصل له حدان وغير مؤرخ . متحف تاريخ الفن ، فيينا .

— محمد المصري (المعلم) : سيف غير مؤرخ . صنعه لسيف الدين أزبك خازندار خير بك (جانبك) الأشرفى ، نائب ولاية حلب . متحف طوبقا بوسراى رقم ١٩٥[٢] باستانبول .

— محمد المصرى (المعلم) : خمسة سيوف مقوسة النصل قليلا ، غير مؤرخة .

---

(١) Buttin: Ibid. p. 140.

(٢) خاير بك كان نائباً على حلب بين ٩١٠ هـ و ٩٢٢ هـ (١٥٠٤ — ١٥١٦) وكان من قادة الجيش المملوكى .

انظر : على بن محمد ، عبد الرحمن بن محمد ، المصرى وهى :

١ : فى متحف طوبقا بوسراى ، باستانبول .

٢ و ٣ : فى ليفروست كامرين باستوكهلم رقمهما ١٨٧٤ و ١٨٨٤

٤ : مجموعة سالارجونج باسكندر آباد .

٥ : متحف متروبوليتان . انظر المصرى .

— محمد يوسف المصرى : سيف غير مؤرخ . تساركويه سيلو بالاتحاد السوفيتى . سيف غير مؤرخ . مجموعة الجنرال بارنوسك يفكس [١] انظر المصرى .

— محمد بن يوسف هماتى : سيف عليه توقيعه أثناء إقامته بقلعة دمشق عام ١٠١٧ ﻫ (١٦٠٨/٩) . متحف درسدن التاريخى .

— محمد حسن : سيف صنعه عام ١٢٢٩ ﻫ (١٨١٤) لابراهيم باشا . متحف فكتوريا وألبرت ، رقم ١٥٧٧ ، ١٨٨٨

— محمد جعفر الاصفهانى : سيف غير مؤرخ صنعه قبل عام ١٦٨٧ . أوروزهينايا بالاتا موسكو .

— محمد رضا راقمى : سيف دون تاريخ ، . مجموعة كونت شبريمتف . انظر ابراهيم بن محمد رضا [٢] .

— محمد رحيم : مدية دون تاريخ . المتحف التاريخى ، برن [٣]

— محمد رحيم بن محمد يناس خان : سيف عليه توقيعه ومؤرخ ١٢٧٧ ﻫ (١٨٦٠) [٤] .

— محمد قائمى : سيف غير مؤرخ ، صنع قبل ١٦٨٧ . أوروزهينايا بالاتا موسكو .

---

(١) Sztuka Perska, 1935, p. 67. No. 140.

(٢) Lenz: Waffensammlung Scheremetev 83 No. 276, pl. XX.

(٣) Zeller u Rohrer : 1955, p. 185, No. 179, pl. XLIII.

(٤) المرجع المذكور ص ١٢٣ رقم ٨٤

— محمد كاظم شيرازي الأصفهانى : سيف مقوس دون تاريخ ولكنه ينسب إلى القرن ١٨ ، عليه أيضاً اسم ميرمراد على خان وعبارة ياقاضى الحاجات . متحف والاس رقم ١٥٠٣ .

— محمد يوسف (المصرى ؟) : سيف مقوس غير مؤرخ ، صنعه أثناء حكم الشاه حسين ، مجموعة هـ. برونس هانسن ، هيلرود .

— مختار الأصفهانى : سيف دون تاريخ عليه اسمه (ينسب إلى القرن السادس عشر) . فى مجموعة البارون شريمتيف فى لننجراد رقمه ٢٧٧

— مراد : يتجان صنعه عام ١١٩٩ (١٧٨٤/٥) لأحمد باشا . المجموعة الاثنوجرافية فى المتحف الوطنى ، كوبنهاجن .

— مراد الحاج بن خشقدم : قليج صنعه أثناء خلافة السلطان سليمان القانونى . متحف الفن الإسلامى رقم ٣٦٤٧ على نصله بيتان من الشعر العربى .

له سيف آخر فى متحف التاريخ الألمانى ببرلين .

— مرتضى : سيف غير مؤرخ . متحف بناكى خزانة ٨٢ رقم ٢

— المصرى (المعلم) : سيف مقوس . متحف أمير ويلس بمدينة بومباى رقم ٣٩٦٠ر٢٢

سيف غير مؤرخ . متحف برن التاريخى رقم ٣٢ (عمل مصرى محمد) .

سيف غير مؤرخ . متحف برن التاريخى رقم ٣١

— مصطفى : سيف مؤرخ فى ١٢١٩ (١٨٠٤/٥) متحف متروبوليتان نيويورك (U. S. A.)

— معزى أوغلو : سيف مقوس صنعه أيام الملك الظاهر ؟ متحف طوبقا بوسراى رقم ٢٥٤٣

— مقيم بن محمد زمان الأصفهانى : سيف صنعه لمير فتح على خان . ينسب النصل للقرن ١٧ . مجموعة والاس رقم ١٧٦٢

— موسى : سيف مستقيم غير مؤرخ [١] بمتحف برن التاريخى رقم ١٨١ .

— ميرمراد على خـان طاهر : انظر محمد كاظم شيرازى ، سيف رقم ١٥٠٣ . متحف والاس .

— نوح (الحاج) : سيف قصير صنعه عام ١٢٢٢ هـ (١٨٠٧/٨) لابراهيم باشا . مجموعة أ. كريستنسن بكوبنهاجن رقم ١٩٢ [٢] .

سيف قصير صنعه لحسين أغا عام ١٢٢٧ هـ (١٨١٢) . متحف بناكى بأثينا . خزانة ٨٧ رقم ٨ .

— نور الدين (ابن أردشير) : سيف غير مؤرخ . كان يمتلكه الأمير ديمترى ميخايلوفتش بوزهارسكى عام ١٦١٢ . مجموعة أورزوهينايا بـالاتا ، موسكو .

— يوسف (الحاج) : سيف مستقيم ، صنعه فى أيام السلطان قايتبـاي . توقيعه أسفل قبضة السيف . متحف طوبقا بوسراي ، باستانبول .

— يونس : سيف منحنى صنعه فى أيام السلطان قايتباي ، توقيعه على ظهر النصل . متحف طويقا بوسراى رقم ١٨٢ ، باستانبول .

— يونس (الحاج) : يتجان صنعه عام ١٢٣٨ هـ (١٨٢٢/٢٣) لمحمد . . . كان فى متحف برلين الحربى (زويجهاوس) .

صنـاع أسلحة منوعـة :

— ابراهيم المغربى : صانع أطبار (فأس القتال ويحمل أثناء الحفلات) فى عصر السلطان قانصوه الغورى (ت ١٥١٦) . متحف طوبقا بوسراى ، باستانبول .

(١) Moser: Orientalich Waffen, 1912, fig. 181, Pl. IX; Zeller u Roh. 1955, pp. 287, No. 352, fig, 171.

(٢) في متحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، سيف رقم ٣٥٤٤ على نصله كتابة عربية ، منها عبارة « عمل الحاج نوح صاحب عبد الله أغا » .

— أبو الحسن شيرازى : صنع مدية فى عام ٩٩٩ هـ (١٥٩٠/١) ، على وجه النصل الآخر جامة نقش فيها اسم قلب على أصفهانى صانع السيوف المشهور . متحف برن التاريخى [١] .

— أحمد بقلى : صنع مدية مقوسة عام ٩٣٣ (١٥٢٦/٢٧) للسلطان سليم متحف طوبقابوسراى ، [٢] باستانبول .

— أحمد الحسينى : صنع خنجرا . متحف برن التاريخى [٣] .

— باقى : صنع خنجرا سنة ١٢٠٦ (١٧٩١/٢) . متحف بناكى . خزانة ٨٩ رقم ٢١ .

— باقى المهدى : صنع خنجرا تاريخه ١١٨٦ هـ (١٧٢٢/٣) ، متحف برن التاريخى [٤] .

— عبده : صنع خنجرا عام ١٢١٤ هـ (١٧٩٩/١٨٠٠) لمحمد ، نقش على نصله عبارة « عمل ابراهيم » ، كان فى مجموعة فريتز كايفر ثم انتقل إلى متحف ستراسبورج التاريخى (انظر ابراهيم) .

— محمد : خنجر صنعه لسليمان أغا فلك زاده بين ٩٢٤ و ٩٥١ (١٥١٨ — ١٥٤٤) . متحف طوبقابوسراى [٥] ، باستانبول .

مقيم الأصفهانى : خنجر صنعه عام ١١٩٣ (١٧٧٩) . المتحف الاسكتلندى الملكى بادنبرة باسكتلندا رقم ١٨٩٠ — ٢٩٦

لطف على : له فى متاحف الأسلحة والفنون خمسة قطع من السلاح ، معظمها فؤوس قتال (طبر) . أولها لغرض الاحتفالات نقش عليه تاريخه ١١١٤ هـ

---

(١) Zeller u Roh: 1955, pp. 179, No. 169, fig. 107, Pl. XLIV.

(٢) زكى محمد حسن : الفنون الايرانية ، ١٩٤٠ ص ٢٥٨

(٣) المرجع المذكور فى (١) ص ١٣٣ رقم ٩٥ لوحة ٣٩

(٤) المرجع المذكور فى (١) ص ١٧٢ شكل ١٠٠ لوحة ٣٩

(٥) Turquie Kémal, June 1941, No. 43, pp. 20.

(١٧٠٢/٣) . وهذا الطبر محفوظ اليوم فى متحف پولدى بيتسولى فى ميلانو . ونقرأ توقيعه عليه : «عمل لطف على غلام» . وله طبر آخر تاريخه ١١١٥ هـ (١٧٠٣/٤) وهو اليوم فى متحف والاس بلندن ورقمه ١٥٥٠ . وفى قرابة ١١٥٠ هـ (١٧٣٧/٨) وفى تاريخ غير معروف عمل طبرين محفوظين اليوم فى متحف فكتوريا وألبرت فى لندن ، رقمهما على التوالى ١١١ — ١٨٨٨ و ١١١ — ١٨٩٦ .

وفى عام ١١٥١ هـ (١٧٣٨/٩) صنع درعا كاملا للقتال نشاهده اليوم فى متحف طوبقابوسراى باستانبول Stocklein; Survey of Persian Art, III, 1939, p. 2562, Vl, pl. 1408 D, E.

د. عبد الرحمن زكى

المتاحف ومجموعات السلاح التى ورد ذكرها فى المقال

أثينا : متحف بناكى	Athens: Benaki Museum
بلتيمور : متحف والتر للفنون	Baltimore: Walters Art gallery
برلين : متحف التاريخ الألمانى	Berlin: Museum fűr Deutsche Geschichte
برلين : المتحف الحربى	Berlin: Zeughaus
برن : المتحف التاريخى	Berne: Historisches Museum
بومباى : متحف أمير ويلس	Bombay: Prince of Wales Museum
بروكسل : متحف بورت دو هال	Bruxelles: Musée de la Porte de Hal
القاهرة : متحف الفن الإسلامى بميدان أحمد ماهر	Cairo: Museum of Islamic Art
كوبنهاجن : المتحف الوطنى	Copenhagen: National Museum
كراكاو : المتحف الوطنى	Cracaw: Museum Narodowe
درسدن : المتحف التاريخى	Dresden: Historisches Museum

Edinburgh: Royal Scottish Museum	ادنبره : المتحف الاسكتلندى الملكى
Florence: Museum Stibbert	فلورنسه : متحف شتبرت
Glasgow: Art Gallery	جلاسجو : متحف الفن
Helsinki: National Museum	هلسنكى : المتحف الوطنى
Istambul: Askeri Museum	استانبول : المتحف العسكرى
Istambul: Top Kapu Saray Museum	استانبول : متحف طوب قابو سراى
Leningrad: Hermitage	لننجراد : متحف الهرميتاج
London: British Museum	لندن : المتحف البريطانى
London: Tower	لندن : برج لندن
London: Victoria and Albert Museum	لندن : متحف فكتوريا وألبرث بساوث كنسنجتون
London: Wallace Collection	لندن : مجموعة والاس
Milan: Musée Poldi-Pezzoli	ميلان : متحف پولدى — بيزولى
Moscow: Oruzheynaya Palata	موسكو : أوروزهينايا بالاتا
New Delhi: National Museum	نيو دلهى : المتحف الوطنى
New York: Metropolitan Museum	نيويورك : متحف متروبوليتان
Paris: Musée de l'Armée	باريس : متحف الجيش
Paris: Musée du Louvre	باريس : متحف اللوفر
Salem: Peabody Museum	سالم : متحف بيبودى
Sandringham:	سندرنجهام بالهند
Secunderabad: Salar Jung Museum	سكندرأباد : متحف سلار جونج
Stockholm: Livrust Kammern	ستوكهلم (السويد) : ليفروست كاميرن
Tsarkoyé Sélo	تساركويه سيلو بموسكو
Turin: Armeria Reale	تورين : دار السلاح الملكى
Varsovie (Warsow): Wojska Polsklego Museum	فارسوفيا : المتحف الوطنى البولندى

فينـا : متحف تاريخ الجيش	Vienna: Heeresgeschichliches Museum
فينـا : المتحف التاريخى لمدينة فيينا	Vienna: Historisches Museum der Stadt Wien
فينـا : متحف تاريخ الفنون	Vienna: Kunsthistorisches Museum
وندسور : المجموعة الملكية بالقصر	Windsor: Royal Collection
مجموعة بوتن بفرنسا	Collection Buttin
مجموعة كريستنس بالدنمارك	Collection Christensen, Denmark
مجموعة هانسن	Collection Hansen
مجموعة جاكوبسن	Collection Jacobsen
مجموعة لوينس	Collection Luynes
مجموعة باولهاك	Collection Pauilhac
مجموعة راسموسن	Collectiou Rasmussen
مجموعة سوند	Collection Sunde
مجموعة تريكمان	Collection Trukman

عرض الكتب والأبحاث والمجلات الجديدة

أولا : أهم الكتب والبحوث التاريخية والأدبية والأثرية المنشورة بالمجلات العلمية

فرناندو دى لا جرانخا : « ملأ العين » ، مجلة الأندلس ، مجلد ٤١ ، القسم الثانى ، سنة ١٩٧٦ .

فرناندو دى لا جرانخا : « صدى شاعر عربى قديم فى الأدب الإسبانى » ، مجلة الأندلس ، مجلد ٤١ ، القسم الأول ، سنة ١٩٧٦ .

ماريا خيسوس روبييرا ماتا : « من جديد حول الأشعار المنقوشة فى قصر الحمراء » ، مجلة الأندلس ، مجلد ٤١ ، القسم الأول ، سنة ١٩٧٦ .

أنطونيو فرناندث بويرتاس : « مبخرة إسلامية من عصر المرابطين » مقال فى مجلة دراسات عربية وعبرية ، جامعة غرناطة ، عدد ٢٥ ، القسم الأول ، ١٩٧٦ .

مانويل أوكانية خيمنث : « جعفر الصقلبى » ، مجلة دفاتر الحمراء ، العدد ١٢ لسنة ١٩٧٦ ، ص ٢١٧ — ٢٢٣ .

بلبينا مارتينث كابيرو : « أعمال النجارة فى الفن الطليطلى المدجن » ، مجلة دفاتر الحمراء ، عدد ١٢ لسنة ١٩٧٦ ، ص ٢٢٥ — ٢٦٥ .

أنخيلا مندوثا إجواراس : « كنيز من العملات الإسلامية اكتشف فى بنيار بغرناطة » مجلة دفاتر الحمراء ، عدد ١٢ لسنة ١٩٧٦ ص ٢٦٧ — ٢٧٧

أنطونيو الماجرو جوربيا : « الأبراج البربرية فى الثغر الأوسط » ، مجلة دفاتر الحمراء ، العدد ١٢ ، لسنة ١٩٧٦ ص ٢٧٩ — ٣٠٥

بازيليو بافون ملدونادو : « أوكانية ، بلدة من العصور الوسطى : دراسة عن الفن الإسلامى وفن المدجنين » ، مطبوعات الجمعية الإسبانية للمستشرقين ، مدريد — برشلونة ، ١٩٧٧ .

خواكين فالفى برميخو : « ملاحظات عن المقاييس والموازين الأندلسية : القسم الثانى ، المكاييل » ، مجلة الأندلس ، مجلد ٤١ ، القسم الأول سنة ١٩٧٧ .

خواكين فالفى برميخو : « حول الديموجرافية والمجتمع الأندلسى فيما بين القرنين الثامن والحادى عشر الميلادى » مجلة الأندلس ، المجلد ٤٢ ، القسم الثاني ، ١٩٧٧ .

ماريا خيسوس روبييرا ماتا : « ابن زمرك ومترجمه ابن الأحمر والابيات المنقوشة فى قصر الحمراء » ، مجلة الأندلس ، مجلد ٤٢ ، القسم الثانى ، ١٩٧٧ .

أنطونيو فرناندث بويرتاس : « نافذتان مزينتان بالزخارف فى جامع الحاكم بأمر الله بالقاهرة » ، مجلة الأندلس ، مجلد ٤٢ ، القسم الثانى ١٩٧٧ .

ماريانو مرتين جرثية : « رباط غرناطى : مصلى سان سباستيان » ، العدد الثالث عشر من مجلة دفاتر الحمراء ، لسنة ١٩٧٧ ص ١٢٩ — ١٥٩ .

أنطونيو فرناندث بويرتاس : « قصر البرطل : التكوين الزخرفى بوظائفه الثلاث المختلفة » ، مجلة دفاتر الحمراء ، العدد الثالث عشر ، لسنة ١٩٧٧ ص ١٩ — ٣٢ .

فرناندو فالدس فرناندث : « حفريات أثرية فى قصبة بطليوس ؛ الحملة الأولى ، يوليو ، ١٩٧٧ » منشورات المجلس الاقليمى ببطليوس ، ١٩٧٨

فرناندو فالدس فرناندث : « حفريات أثرية فى قصبة بطليوس » بطليوس ، ١٩٧٩

بازيليو بافون ملدونادو : « ساجنتو : مدينة وسيطة من أصول إسلامية » مجلة الأندلس ، مجلد ٤٣ ، القسم الأول ، سنة ١٩٧٨

عبد العزيز سالم : « باب الغفران بجامع قصبة الموحدين بإشبيلية » ، مجلة الأندلس ، مجلد ٤٣ ، القسم الأول ، سنة ١٩٧٨

إميليو جرثية جومث : « الحوار الثالث مع الأهوانى حول ابن قزمان » ، مجلة الأندلس ، مجلد ٤٣ ، القسم الثانى ، سنة ١٩٧٨

الياس تيريس : « العقبة : ملاحظات فى الطوبونومية العربية » ، مجلة الأندلس ، مجلد ٤٣ ، القسم الثانى ، ١٩٧٨

خوليو بورّيس : « آثار مسجد بطليطلة ؟ » ، مجلة الأندلس ، مجلد ٤٣ القسم الثانى ، ١٩٧٨

بازيليو بافون ملدونادو : « تطيلة : مدينة من العصور الوسطى ، دراسة فى الفن الإسلامى والمدجن » مجلة أوراق ، العدد الأول ، ١٩٧٨

آريباس بالاو : « رحلة السفير المغربى محمد بن عثمان إلى الاسكوريال وشقوبية ولاجرانخا (ابريل ١٧٨٠ م) » مجلة أوراق ، العدد الأول ١٩٧٨ .

م. زبيس : « مواقع أندلسية فى تونس » ، مجلة أوراق ، العدد الأول .

عبد العزيز سالم : « تحقيق أسماء قصور بنى عباد الواردة فى شعر ابن زيدون » مجلة أوراق ، العدد الثاني ، ١٩٧٩ .

معن خليل عمر : « التحليل السببى للظاهرة عند ابن رشد » ، مجلة أوراق ، العدد الثانى ، ١٩٧٩

مولينا لوبث : « شرق الأندلس والمرية فى نطاق السياسة الداخلية للمتوكل على الله ابن هود المرسى (١٢٣٦ — ١٢٣٨) » ، مجلة أوراق ، العدد الثانى ، ١٩٧٩

جمال عبد الكريم : « خواطر تاريخية عن الأندلس : الإسلام ، العصر الذهبى لإسبانيا » مجلة جاديس ، العدد ٥ ، قادس ، ١٩٨٠

جنثالو بورّاس جواليس : « فن المدجنين فى أرغون » سرقسطة ، ١٩٧٨

خوسى ماريا لا كارّا : « الفونسو المحارب » كتاب صدر فى السلسلة الأرغونية ، سرقسطة ، ١٩٧٨

جيّرمو روسّيو بوردوى : الأشكال الحيوانية فى زخارف التحف الإسلامية فى الجزر الشرقية بالأندلس » بلمة ميورقة ، ١٩٧٨

جيرمو روسيو بوردوى : « دراسة تحليلية للخزف العربى فى ميورقة » بلمة ميورقة ، ١٩٧٨

أندريه بازانا و بيير جيشار : « الأبراج الدفاعية فى بساتين بلنسية فى القرن ١٣ » دراسات بيت بلاسكث ، الجزء ١٤ ، باريس ، ١٩٧٨

عبد القادر زمامة : « أبو الوليد ابن الأحمر » الدار البيضاء ، ١٩٧٩

محمود صبح : « مختارات من الشعر الإسبانى » ، العدد الرابع ، ترجمة الدكتور محمود صبح ، من منشورات المعهد الإسبانى العربى للثقافة ، ١٩٧٩ .

الفونسو دى لاسرنا : « صور من تونس » من منشورات المعهد الإسبانى العربى للثقافة ، مدريد ، ١٩٧٩

فيديركو كورينتى : « قواعد اللغة العربية » منشورات المعهد الإسبانى العربي للثقافة ، مدريد ١٩٨٠

فرناندو بلدرامه مرتينث : « معجم إسبانى — عربى ، وعربى — إسباني ، فى السياسة والدبلوماسية » ، منشورات المعهد الإسباني العربى للثقافة ، مدريد ، ١٩٨٠

ثانيا : نقد الكتب

(للدكتور محمد عبد الحميد عيسى)

١ — كتاب الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ، لمؤلف أندلسى من أهل القرن الثامن الهجرى ، تحقيق الدكتور سهيل زكار ، والأستاذ عبد القادر زمامة ، الدار البيضاء ، ١٩٧٩

على الرغم من الدراسة القيّمة التى تتضمنها مقدمة المحققين لهذا الكتاب ، فإن بحثهما عن المؤلف المجهول لهذا الكتاب جاء مقتضباً للغاية ، فلم يتوصلا إلى التعريف به مع أنهما أشارا إلى ابن السماك الذى أكد المؤرخ المغربى أبو الربيع سليمان الحوات أنه مؤلف الحلل الموشية . ومن الجدير بالذكر أن الأستاذ الدكتور محمود على مكى قد توصل إلى معرفة اسم هذا المؤلف عند تقديمه لكتاب الزهرات المنثورة . هذا وقد بذل المحققان جهداً كبيراً فى تحقيق هذه الطبعة الجديدة من كتاب الحلل بعد أن نفذت الطبعتان الأولى بتونس والثانية بالرباط ، واعتمدا فى تحقيقهما لهذه الطبعة الجديدة على ثلاث نسخ مخطوطة إحداها خاصة والأخريان محفوظتان فى الخزانة العامة بالرباط .

٢ — «كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج» للشيخ أبى الوليد الباجى ، تحقيق الدكتور عبد المجيد تركى

صادفت عودة الباجى إلى الأندلس مرحلة تاريخية حافلة بالصراع الفكرى والنقاش خاصة بين ابن حزم وعلماء بلاط مجاهد العامرى ، وشارك الباجى فى هذه المعركة وكان ذلك من الأسباب التى حملته على وضع هذا الكتاب الهام

الذى قصد به تنظيم عملية الجدل ووضع أصول للمناظرة يعتد بها ويعتمد عليها . وقد اهتم الدكتور عبد المجيد تركى المدير المشارك لمجلة « استوديا اسلاميكا » بتحقيق هذا الكتاب تحقيقاً علمياً سليما ومنهجياً اعتمد فيه على ثقافته العميقة فى مجال الدراسات الفقهية ، ومن الجدير بالذكر أن الدكتور تركى نشر رسالته للدكتوراه بالفرنسية عن المجادلات التى جرت فى الأندلس بين ابن حزم وأبى الوليد الباجى .

٣ — « كتاب نثير الجمان فى شعر من نظمنى وإياه الزمان » لأبى الوليد ابن الأحمر ، تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٧٦

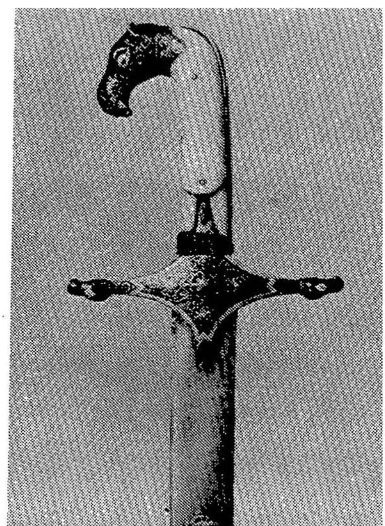
ألف ابن الأحمر هذا الكتاب فى سنة ٧٧٦ هـ وقصره على شعراء الأندلس والمغرب ، واعتنى فيه المؤلف بالنصوص الأدبية لمن يترجم لهم لا سيما الشعرية منها . ويتضمن الكتاب تراجم أكثر من سبعين شخصية أدبية أندلسية ومغربية . والكتاب أثر هام من آثار القرن الثامن الهجرى ، ويشتمل على حد قول المحقق على نماذج هامة من شعر رجال العصر ونثرهم ويحتوى كذلك على ملاحظات تاريخية واجتماعية وثقافية تسلط الأضواء على العصر وتقلباته . وقدّم الدكتور الداية للكتاب بمقدمة هامة سجل فيها دراسة عن مؤلف الكتاب والمخطوطات التى اعتمد عليها فى تحقيقه ، ولم يهمل التعليقات الهامشية والتعريف ببعض الشخصيات الواردة ضمن التراجم .

٤ — « كتاب المدخل إلى صناعة الطب » لأبى بكر محمد الرازى ، تحقيق ماريا كنثبثيون فانكز ، منشورات المعهد الاسبانى العربى للثقافة ، مدريد ، ١٩٧٩

لهذا الكتاب أهمية عظمى إذ يعين الباحث المتخصص فى تاريخ الحضارة الإسلامية على التعرف على جهود العرب فى الطب ، ويبرز دورهم فى هذه



سيف إيرانى من عمل أسد الله الاصفهانى
نقش عليه اسمه ، وأعلاه عبارة « ياقاضى الحاجات »
فى متحف متروبوليتان بنيويورك



سيف إيرانى مقوس نقشت على نصله عبارة
« عمل أسد الله الاصفهانى »
فى متحف والاس بلندن رقم ١٤٠٧

٧ — « دراسات أندلسية فى الأدب والتـاريخ والفلسفة » للدكتور الطاهر أحمد المكى ، القاهرة ، ١٩٨٠

يشتمل الكتاب على عدد من البحوث عن تاريخ الأندلس وحضارتها ، منها بحث عن « الأندلس : تاريخ اسم وتطوره » وفيه يؤكد المؤلف أن المسلمين هم أول من أطلقوا اسم الأندلس على اسبانيا ، ومنها بحث بعنوان « القصيدة التى فجرت ثورة » ، ويتنـاول فيه قصيدة الشاعر أبى إسحاق الألبيرى التى نظمها محرِّضاً باديس بن زيرى على وزيره يوسف بن صمويل ، وكانت القصيدة الشرارة التى أشعلت نار الثـورة الغرناطية ضد اليهود المتحكمين فى غرناطـة أنذاك ، ومن البحوث الواردة بالكتاب بحث عنوانه « شاعر عاشقة : حفصة بنت الحاج » وفيه يعـالج ما جرى من منافسة بين أبى جعفر بن سعيد وأمير غرناطـة على حب الشاعرة الأندلسية . وبالاضافة إلى هذه الدراسات يتضمن الكتاب ترجمات لبحوث بعض كبار المستعربين الاسبان ، من بينها دراسة لدون خليان ريبيرا عن « تاريخ افتتـاح الأندلس لابن القوطية » ، وأخبار مجموعة لمؤلف مجهول ، وابن خاتمـــة شاعر أندلسى من القرن الرابع عشر للمستعربة سوليداد جيلبرت ، والشعر الأندلسى لآنخل جنثـالث بالنثيا ، وأبو العباس بن العريف وكتابه محاسن المجالس لميجيل آسين بلاثيوس .

أردنا بمناسبة اليوبيل الذهبي لإنشاء المعهد المصري للدراسات الإسلامية ، وبعد خمسين عاما من الجهد الآمل الرامي إلى الحفاظ على واحد من أهم عمده ، مجلته الغراء ، تكريم هؤلاء الذين حولوا هذا الحلم الواعد إلى واقع ملموس.

وإيمانا منا بالدور الذي قامت وتقوم به مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية باعتبارها نقطة وصل وتواصل بين المشتغلين بالدراسات العربية من الإسبان والإسبانية من العرب ، نرى أنه بات علينا أن نستغل معطيات عصر التكنولوجيا لتخليد شهادات وأبحاث ثقاة الفكر والقلم من العرب والإسبان المدونة على ما يربو على ثلاثين ألف صفحة في ثلاثين مجلدا ، تراث ثرى غائر الأعماق من الإبداع والدرس والبحث في ثمار واحدة من أهم الحضارات التي ورثتها البشرية: الحضارة الإسبانية العربية ...

إن هذا القرص، الذي تحمله بين يديك أيها القارئ الكريم، الذي يضم في ثنايا موجاته المغناطيسية كنزا تراكم على مر خمسين عاما، يرنو إلى أن يكون احتفاء بالمستقبل وبالأجيال الجديدة التي تواصل مهمة إثراء هذا الكنز المعرفي الذي نهديه لك ولأنفسنا ولكل المعنيين بالتراث العربي الأندلسي في هذا القرص الصغير في حجمه الكبير في معناه.

ولنا اغتنام هذه المناسبة لنعرب عن عميق امتناننا، وجزيل شكرنا لكل من شاركنا وأسهم في هذا الجهد طوال السنوات الماضية .

أ.د محمود السيد على

المستشار الثقافي لجمهورية مصر العربية

مدير المعهد المصري للدراسات الإسلامية

مدريد في الثاني عشر من أكتوبر ١٩٩٩

فهرس القسم العربي

صناعة السيف الاسلامي
ومشاهير الصناع فى العصور الوسطى (*)

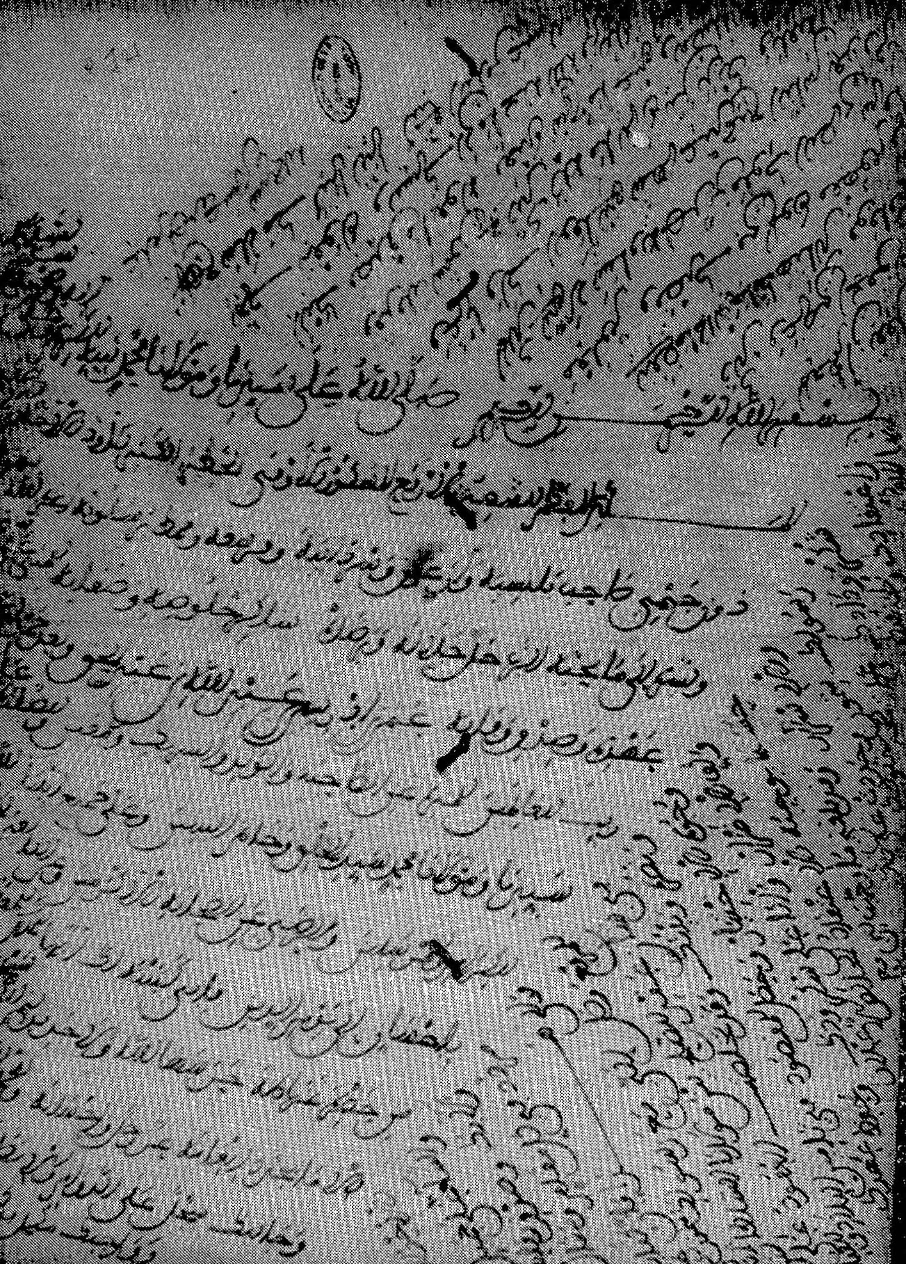
برع المسلمون من العرب وأهل مصر والشام والفرس والترك والهنود وغيرهم فى إجادة صناعة السلاح ، لا سيما فى عصورهم الزاهرة ، حينما اضطرت شعوبهم لامتشاق الحسام دفاعا عن أوطانهم . بدأت صناعة السلاح فى مستهل أيامها معتمدة على مهارة الأفراد والجماعات الصغيرة كالقبائل ، ولما اتسع نطاق القتال أخذت الحكومات على عاتقها تنظيم صناعات السلاح ، فانتقلت إلى نشاط القطاع العام كما يقال فى هذه الأيام . ويلاحظ أن المؤرخين المسلمين السابقين لم يعنوا بتأريخ الصناعات الحربية ، فلم يهتموا بذكر مشاهير أهلها الذين ضربوا بسهم وافر فيها إلا فيما ندر .

* * *

لما انتهت حركة الفتوح الإسلامية ، واستقرت دعائم الدولة العربية ، اتجه الخلفاء والولاة إلى تشجيع مزاولة الحرف والصناعات[1] . ويوضح لنا ذلك قول الإمام على بن أبى طالب فى عهده إلى مالك الأشتر النخعى ، حينما ولاّه على مصر وأعمالها ، ونصّه :

(*) انتقل إلى رحمة الله تعالى الزميل والصديق والعالم الأثرى المرحوم الأستاذ الدكتور عبد الرحمن زكى ، صاحب هذا المقال ، وقد رأينا أن ننشره له لأهميته بالنسبة للحضارة الاسلامية ، وتخليداً لذكرى هذا العالم الجليل .

(١) مصطفى جواد : كره العرب للحدادة : مجلة المعرفة ، ص ٩٦٢ — ٩٦٣ ، ديسمبر ١٩٣٢ . انظر أيضاً نهج البلاغة .

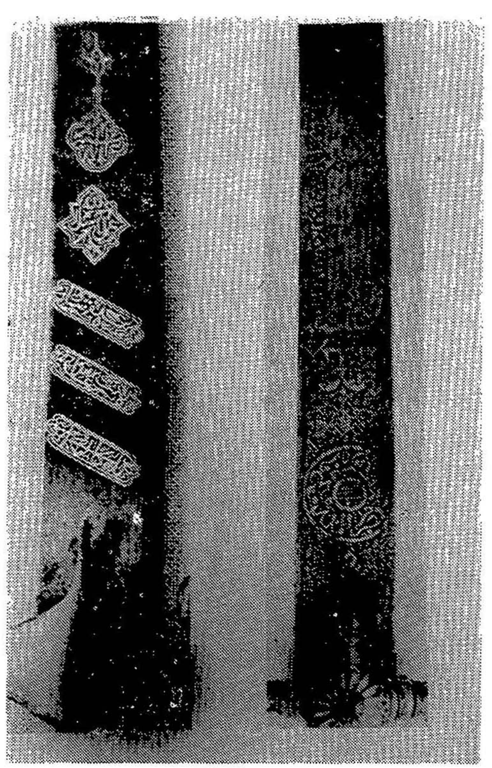


معاهدة صلح بين اسماعيل بن فرج بن نصر سلطان غرناطـــة
والملك دون جيمى الثانى ملك أرغون مؤرخة فى سنة ٧٢١ هـ

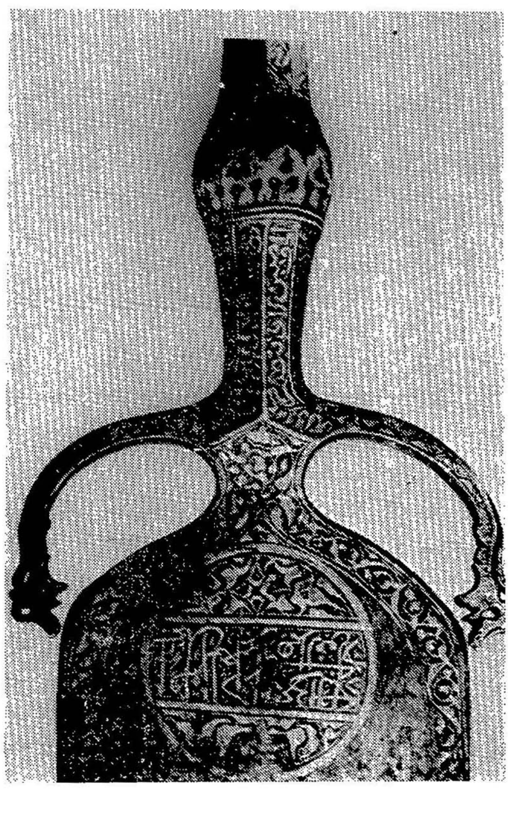
124

[illegible]

[illegible]



اليمين : سيف من عمل أسد الله الاصفهانى
فى متحف الفنون بجلاسجو (اسكتلنده)
اليسار : سيف من عمل محمد المصرى فى مجموعة
ليفروست كاميرن فى استوكهلم



سيف من صناعة ابراهيم الفولادى المغربى
فى متحف طوب قابوسراى باستانبول
ذكره الأستاذ ماير فى كتابه

طبعت بمطبعة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية فى مدريد
١٩٨٠